رسالة إسلامية منهجية جامعة

٢٠

الأصالة

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري، ومرة كل شهرين مؤقتاً

السنة الرابعة: العدد العشرون

١٥/ محرم/ ١٤٢٠هـ

اقرأ في هذا العدد

الفتاوى	الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني
نصيحة وذكرى	الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز
الجائزة الفيصلية	الشيخ الأستاذ محمد إبراهيم شقره
إصلاح ذات البين	الشيخ الدكتور أحمد طاهر اويس
الولاء والبراء الشرعي والحركي	الشيخ سعد الحصين
الرجولة في الكتاب والسنة	الشيخ الدكتور محمد بن موسى ال نصر
ضوابط الهجر الشرعي	الشيخ سليم بن عيد الهلالي
تراثيات	الشيخ مشهور بن حسن ال سلمان
دفاع عن صحيح البخاري	الشيخ علي بن حسن الحلبي
خطبة الجمعة والفقه الواقع	الشيخ سعود بن ملوح العنزي

رسالة إسلامية منهجية جامعة

٢٠

الأصالة

عودة إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة

تصدر منتصف كل شهر هجري، ومرّة كل شهرين مؤقتاً

السنة الرابعة : العدد العشرون

١٥/ محرم/ ١٤٢٠هـ

أسرة التحرير

الشيخ سليم بن عيد الهلالي / رئيساً

الشيخ د. محمد بن موسى آل نصر / عضواً

الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري / عضواً

الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان / عضواً

ترخيص دائرة المطبوعات والنشر برقم ٤ / ٣ / ١٣٢٨

إنَّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله حقَّ تُقاته ولا تموتنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون﴾ .

(آل عمران : ١٠٢)

﴿يا أيُّها النَّاس اتَّقوا ربَّكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتَّقوا الله الذي تساءَلون به والأرحام إنَّ الله كان عليكم رقيباً﴾ .

(النساء : ١)

﴿يا أيُّها الذين آمنوا اتَّقوا الله وقولوا قولاً سديداً ، يُصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ .

(الأحزاب : ٧٠ ، ٧١)

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كلام الله ، وخير الهدى هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل مُحدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

المحتويات

☐ فاتحة القول: إخوان العلانية أعداء السِّرِّ

التحرير ٥

☐ تأملات قرآنية: التوحيد وأثره في الولاية الشرعية

الشيخ فتحي عبد الله سلطان ٦

☐ الكلم الطيب: إصلاح ذات البين

الشيخ الدكتور أحمد طاهر أويس ١٣

☐ قيم إسلامية: الرجولة في الكتاب والسنة

الشيخ الدكتور محمد بن موسى آل نصر ١٩

☐ أضواء على مناهج الفرق المبتدعة: في الولاء والبراء الشرعي والحركي

الشيخ سعد الحصين ٢٢

☐ كلمات في الدعوة والمنهاج: ضوابط الهجر الشرعي

الشيخ أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي ٢٦

☐ تزكية النفوس: نصيحة وذكرى

الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز ٣٢

☐ مصطلح وبيان: الإسراف والتبذير

..... ٣٦

☐ الكتب تعريفاً ونقداً: طبعة (أبو صهيب الكرمي) من صحيح البخاري

الشيخ علي بن حسن الحلبي ٤٧

☐ تراثيات: عالم المغرب: القاضي عياض وكتابه «مشارق الأنوار على صحاح الآثار»

الشيخ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ٥٣

☐ متابعات: الجائزة الفيصلية

الشيخ الأستاذ محمد إبراهيم شقره ٥٩

المحتويات

☐ وفاء وثناء: قصيدة

الشاعر عبد الله العثيمين ٦٣

☐ الفتاوى: تنبيه الأنام على مسألة القيام

العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني ٦٤

☐ من خطب السلف

عمر بن عبد العزيز ٧٢

☐ حق المنبر: خطبة الجمعة والفقه الواقع

الشيخ سعود بن ملوح العنزي ٧٣

☐ مسك الختام: شخصية المسلم

التحرير ٧٨

☐☐☐

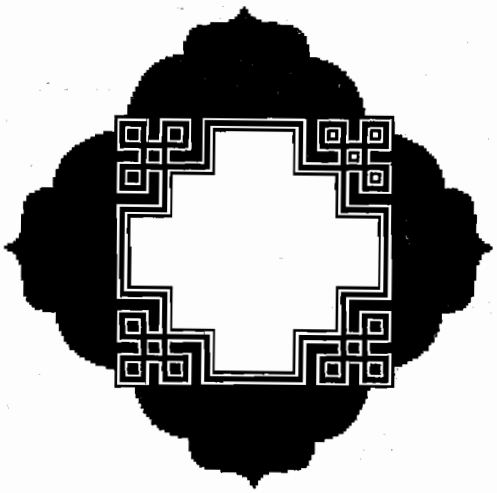

التنضيد الإلكتروني والإخراج الفني

دار الحسن للنشر والتوزيع / هاتف ٤٦٤٨٩٧٥ / فاكس ٤٦٤٨٩٧٥ / ص.ب ١٨٢٧٤٢ / عمان ١١١١٨ / الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

إخوان العلانية أعداء السر

يقصد مجالس أهل العلم الخاصة ودروسهم العامة نفر ليس لهم رغبة فيما عندهم، بل حبًا في كشف منهج من قصدوه؛ ليروا هل يوالي من يوالون، ويعادي من يعادون، وليرقبوا أعماله، ويروا أفعاله، ويسمعوا أقواله لعلهم يظفرون منه بزلة؛ فيطيروا بها في الآفاق، أو يرون عثرة؛ فيضخمونها كعادة أهل النفاق، أو يتناقلون هفوة في حق عالم أو طالب علم ليحدثوا بها بين الأحبة النزاع والشقاق؛ فليحذر الموفق من قصدهم فإنهم ليسوا سواء.

قال أبو سليمان الخطابي رحمه الله:

"دع الراغبين في صحبتك والتعلم منك، فليس لك منهم مال ولا جمال: إخوان العلانية أعداء السر، إذا لقوك تملقوا لك، وإذا غبت عنهم سلقوك، ومن أتاك منهم كان عليك رقيبًا، وإذا خرج كان عليك خطيبًا، أهل نفاق ونميمة وغل وحقد وخديعة.

ولا تغتر باجتماعهم عليك، فما غرضهم العلم، بل الجاه والمال، وأن يتخذوك سلمًا إلى أوطارهم، وحمارًا إلى حاجاتهم، وإن قصرت في غرض من أغراضهم كانوا أشد الأعداء عليك، ثم يعدون ترددهم إليك، دالة عليك، ويرونه حقًا واجبًا عليك، ويعرضون لك أن تبذل عرضك ودينك وجاهك لهم، فتعادي عدوهم، وتنصر قريبهم، وخادمهم ووليهم، وتنتهض لهم سفيهًا، وقد كنت فقيهًا، وتكون لهم تابعًا خسيسًا، بعد أن كنت متبوعًا رئيسًا".

هذه الحكاية من البداية إلى النهاية....

ورحم الله الخطابي فقد تكلم بلسان الجميع.

التحرير

* * *

الحلقة الأولى

بقلم الشيخ فتحي عبد الله سلطان

التوحيد وأثره في الولاية الشرعية

يقول الله تعالى : ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدَىً . وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهاً لَقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً هَؤُلاَءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ .

سياق الآيات يدلّ على ثمة شروع في تفصيل قصة الفتية أصحاب الكهف ، وأن اللّه تعالى يقصّها على نبيّه بالحق والصدق الذي ما فيه من شك ولا شبهة بوجه من الوجوه .

أي : لا تسأل عن خبرهم ، نحن نقصّه عليك بالحق المطابق للواقع من كل وجه حتى تظهر لك مقاصده العلمية الموجبة لتحصيل الشرائع العملية .

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالحَقِّ﴾ :

﴿نحن﴾ تقديم الضمير المنفصل ضمير القاص مع ما فيه من التبجيل والتعظيم للإخبار عن المفرد بصيغة الجمع وياله من قاص ، وهو الله تعالى فلا بدّ من اليقين والتذكير والتثبيت .

﴿نقصّ﴾ استحضار القصص إشارة إلى استمرارها والاتعاظ بها على مرّ الأزمان .

﴿عليك﴾ اهتماماً بشخصية الرسول ﷺ ؛ لأنّه هو حامل هذا الدين والمبلِّغ له ، مع ما في التركيب من معنى الفوقية ؛ إشارة إلى الاتعاظ بالقصة والعمل بفحواها وعدم الاستئناس بها فقط ، ولذا لم يقل «لك» .

﴿نبأهم﴾ والنبأ فيه معنى الخبر جليل الشأن كما قال تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ العَظِيْمِ﴾ وخبر هذه حاله موجب لشد الانتباه ، ومن ثم التفكير فيه وتأمله ، كل ذلك إشعار بأن مصادر التلقي هي من الوحي ، فلا حاجة ألبتة للسؤال عن أخبارهم ، فقد تولى اللّه تعالى الإخبار عنهم وحياً مطابقاً للواقع ، فليس في قصصهم ولا قصص غيرهم زيادة ولا نقصان ، وتلقيه ﷺ قصص هؤلاء الفتية من الله تعالى موجب لتحصيل اليقين من قصصهم فيترتب على ذلك آثار عملية ودعوية فضلاً

عن التذكر والتثبيت ، يقول تعالى : ﴿وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود : ١٢٠] .

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ :

تصدير الآية بـ ﴿إِنَّ﴾ لتوكيد مضمون الآية ، ومعلوم أن كلمة ﴿الفتية﴾ من جموع القلة ـ أي دون العشرة ـ : إشارة إلى أنهم قلة وهذا الوصف متعلّق بتحقيق الغربة والاغتراب ، وهي غربة الحال والعقيدة والمنهج كما كانت هي غربة أوطان بالنسبة لهم .

والفتى : هو الشاب الحديث السنّ ، وقد استعمل هذا اللفظ في باب المدح والذمّ بحسب السياق ، فقد ورد في آيات أخر كما في قوله تعالى : ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ الأنبياء .

ووصف أصحاب الكهف بالفتوة وارد على سبيل المدح من وجهين :

الأول : إن هؤلاء الفتية لما آمنوا واستجابوا لمنادي الإيمان آنذاك كانوا في سنّ الشباب والقوة ، آثروا الإيمان على الكفر ، فهم وجهوا فتوّتهم نحو تحصيل الإيمان والثبات عليه ، وفي هذا المعنى يقول الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٦٦/٣) : «إنهم الفتية وهم الشباب أقبل للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين قد عتوا وانغمسوا في دين الباطل ، ولهذا كان أكثر المستجيبين لله تعالى ولرسوله ﷺ شباباً . . .» .

الوجه الثاني : إن لفظ الفتى وإن كان مشعراً بالاستضعاف إلا أنه استضعاف محمود لا مذموم ؛ فاستحقوا بموجبه شمولهم بالنصر والدفع عنهم ، وهذه سنة كونية تجري لصالح الرسل والدعاة .

إيثار أصل الإيمان ثم السعي لتكميله:

﴿آمنوا بربّهم﴾ والإيمان ها هنا ذكر مطلقاً دون قرنه بالعمل الصالح وإن كان العمل داخلاً فيه دخول الشيء في مسمّاه ؛ لإيثار الأصل الإيماني الذي هو التوحيد ؛ أي بسبب أصل اهتدائهم إلى الإيمان ، زادهم الله من الهدى الذي هو العلم النافع والعمل الصالح»[1] .

ذلك أن الإيمان وكما هو معلوم متضمن للمجمل والمفصل ، فهم آمنوا بمجمله وأصله الذي هو التوحيد ؛ فشكر الله تعالى إيمانهم فزادهم من فضله الذي هو الهدى المتضمّن للعلم النافع والعمل الصالح .

بين تحصيل الإيمان وزيادة الهدى:

إن فعل الإيمان نسب إليهم فهو صادر منهم تحصيلاً وسعياً لا إلهاماً وكشفاً . والذي معهم ـ ابتداءً ـ هو أصل الإيمان وهو التوحيد بقرينة إطلاقه وذكر الهدى المتضمن للعمل الصالح في سياقه فالإيمان في الآية

متوجه إلى التوحيد بقرينة السياق ، فثمة عموم وخصوص بين الإيمان والهدى عند الجمع بينهم والإفراد ، فإذا أفرد أحدهما بالذكر يكون متضمناً للآخر ، والعكس صحيح ، وثمة قرينة أخرى ، وهي أن اسم الرب تعالى أضيف إليهم ﴿آمنوا بربهم﴾ ، وذكر الربوبية مع الإيمان هو من باب قرن الإلهية بالربوبية ، كما هو المعتاد في السياقات القرآنية لمن تأمل .

وإضافة اسم الرب إليهم تشريفاً وتربية لهم ، فقد خصّهم الله تعالى بتربيتهم على التوحيد .

أما بالنسبة لزيادة الهدى ، فثمة فائدة أخرى ، ذلكم أن المزاد عليهم من الله تعالى وارد في لفظ الهدى لا بلفظ الإيمان ، فلم يقل الله تعالى زدناهم إيماناً بل ﴿وزدناهم هدى﴾ مع أن ما عندهم هو من جنس الإيمان ، والسبب في هذا التقديم والإيثار يرجع إلى :

أولاً : إنّما المقصود تكميل الإيمان بمجمله ومفصله ، بأصله وفروعه ، بعلمه وعمله ، بأساسه وبنيانه . . . فالفتية لما آمنوا إيماناً مجملاً زادهم الله تعالى إلى الإيمان المفصل الذي جاء ذكره في الآية بلفظ الهدى ، لئلا يتوهم أحد أن الزيادة هي في جنس الأصل فقط ، بل أن المزاد عليهم وإن كان من جنس ما عندهم لكن هو زائد على قدر ذلك في الإجمال والتفصيل .

ثانياً : وهم سعوا إلى سبيل الرشاد هداية واستجابة فزادهم الله تعالى ووفقهم إلى هداية أخرى أكمل وأتمّ من الأولى فاجتمعت عندهم الهدايتان : هداية الإرشاد وهداية التوفيق .

ثالثاً : ولما كان غالب تعلّق الهدى إنما بتكميل القوة العملية المتفرعة على تكميل القوة العلمية ، كان إيثار الهدى في هذا السياق من باب تكميل وتهذيب القوة العملية ، والاعتناء بالتزكية .

رابعاً : ولعلّ ثمة فائدة أخرى :

هؤلاء الفتية لما آثروا الإيمان على الكفر ، والتوحيد على الشرك فقد جاهدوا في الله توحيداً وإيماناً ، فلا بدّ من هدايتهم إلى أكمل سبل الهداية كما قال تعالى : ﴿وَالَّذِيْنَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِيْنَ﴾ فكل من يجاهد في الله توحيداً لا بدّ وأن يهدى إلى كل سبل الهداية لا إلى سبيل واحدة ؛ أي إلى كل شرائع الإيمان وشعبه ولوازمه وثماره . . .

وقرينة هذا التوجيه ظاهرة في تنكير الهدى في الآية ، إذن هي للتعميم ولتعظيم النعمة المزادة عليهم وتفخيمها ، فتأمّل .

تنبيهات:

١ ـ الآية دلت بمنطوقها على أن الإيمان يزيد وينقص ؛ يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي ، يزيد بالأسباب الموجبة لزيادة الإيمان وسعي العباد لتحصيله ، وينقص

بتركها وعدم إرادة الانتفاع بها ، وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة .

٢ ـ إن إيمان الفتية تحصل عندهم بطريقة الاستجابة إلى منادي الرسل وواعظ الإيمان في القلب ، فضلاً عن حصوله بمقتضى العلوم الفطرية التي سلمها الله تعالى من التلوث بدفع المعارض لها ، في حين ذهب البعض إلى أن إيمان هؤلاء حصل بمقتضى الإلهام(!)

وهذا خلاف معهود تحصيل الإيمان ، إذ لو كان هو المقصود لنوّه السياق له من قريب أو بعيد وما تقدم من إيضاح كاف لرده .

أثر تجريد التوحيد على الأعمال القلبية:

هؤلاء الفتية الممدوحة صفتهم قد اجتمعت فيهم خصال تفرقت في غيرهم ، فكانوا علماء بين قوم جهال ، وكانوا مؤمنين وسط قوم كفار ، وكانوا موحّدين وسط قوم مشركين ، وهذه الحال والوصف من موجبه إعلان العداء لهم ، فما كان منهم إلا الثبات .

فبإيمانهم هذا آثروا محبة الله على محبة سواه ، وآثروا الفرار إليه على مصاحبة الأصحاب والأهل والأحباب ، فتحققت خصلة إيثار المحبوب في عمل القلب ، فكرهوا الردة ، وكرهوا ما كان عليه قومهم ، لذا أظهر الله على لسان بعضهم : ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً﴾ .

ومن كانت هذه خصاله ذاق حلاوة الإيمان ؛ يقول رسول الله ﷺ : «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان في قلبه : أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما ، وأن يحبّ المرء لا يحبّه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» . متفق عليه .

فهؤلاء الفتية لما وجدوا أثر حلاوة الإيمان فقاموا لله في ذاته قومة التوحيد والدعوة إلى سبيله تعالى والتعريف به ، رباً ومعبوداً ، وبأسمائه وصفاته .

وفي هذا المعنى الدقيق يقول ابن قيم الجوزية في «المدارج» (٦٧/٣) :

ومن كانت هذه خصاله ذاق حلاوة الإيمان: يقول رسول الله ﷺ : "ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان في قلبه: أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما، وأن يحبّ المرء لا يحبّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار". متفق عليه.

«فإن هؤلاء ـ أي الفتية ـ كانوا بين قومهم الكفار في خدمة ملكهم الكافر، فما هو إلا أن وجدوا حقيقة الإيمان والتوفيق وذاقوا حلاوته وباشر قلوبهم فقاموا من بين قومهم، وقالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّماواتِ وَالأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُوْنِه إِلَهاً﴾، والربط على قلوبهم يتضمّن الشدّ عليها بالصبر والتثبيت وتقويتها وتأييدها بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا فيه من خفض العيش وفرّوا بدينهم إلى الكهف».

﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوْبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا﴾:

والربط على قلوبهم يتضمّن الشد عليها بالصبر والتثبيت وتقويتها وتأييدها بنور الإيمان وهو عكس الخذلان، فالخذلان حلّه من رباط التوفيق فيغفل عن ذكر ربه، ويتبع هواه، ويصير أمره فرطاً»[٢]. ويقول الشنقيطي رحمه الله في «أضواء البيان» (٢٩/٤):

«أي ثبتنا قلوبهم وقوّيناها على الصبر، حتى لا يجزعوا ولا يخافوا من أن يصدعوا بالحقّ، ويصبروا على فراق الأهل والنعيم والفرار بالدين في غار في جبل لا أنيس به، ولا ماء ولا طعام.

ويفهم من هذه الآية الكريمة: أن من كان في طاعة ربه جلّ وعلا يقوى قلبه، ويثبته على تحمل الشدائد، والصبر الجميل».

و﴿إذ﴾ هنا ظرفية والربط متعلق بوقت قومتهم؛ أي حين قاموا، وقد حصل بثمرة وجدهم للإيمان، فربط على قلوبهم برباط التوفيق حتى يتصل بذكر ربه، ويتبع مرضاته، ويجتمع عليه شمله فلا يخذل، ذلكم أن أخذل الخذلان خذلان القلب، فلا يسلم لحكم الله الشرعي والكوني تسليماً فيبقى هذا القلب دائراً بين الشبهة والشهوة ومن كانت هذه حاله فهو فارغ القلب مخذول الحال لا يتمكن من النزول في منازل الصبر أو القيام في مقام الدعوة، وقلوب هؤلاء الفتية لم تكن فارغة من الإيمان أصلاً أو كمالاً لما ربط الله على قلوبهم، كما ربط الله تعالى على قلب أم موسى لما فرغ، يقول تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوْسَى فَارِغاً إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيْ بِه لَوْلا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ [القصص: ١٠].

وليس بالضرورة أن يفرغ القلب من أصل الإيمان؛ لأن ذلك من قبيل الكفر، بل قد يفرغ من قبيل الإنابة والخشية والخوف والتصدع واليقين ما يوجب انتقاص إيمان العبد بحسبه.

الربط بالتأييد والنصر في مقام الدعوة:

قال القرطبي في «تفسيره» (٣٦٥/١٠ ـ ٣٦٦): ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا﴾؛ يحتمل ثلاث معان:

١ ـ أن يكون هذا وصف مقامهم بين يدي الملك الكافر .

٢ ـ أنهم أولاد عظماء تلك المدينة فخرجوا وراء تلك المدينة . . . فقاموا جميعاً فقالوا . . .

٣ ـ أن يعبر بالقيام عن انبعاثهم بالعزم إلى الهروب إلى الله تعالى ومنابذة الناس ، كما تقول : قام فلان إلى أمر كذا إذا عزم عليه بغاية الجد . .» .

والأقوال الثلاثة وإن كانت محتملة المعنى لكن الثالث أظهر .

﴿إذ قاموا﴾ : أي نهضوا بهمة ونشاط وقصد وعزم لاتّباع المقصود . . . فهم بهذا الوصف نزلوا في مقام الدعوة إلى الله تعالى وصارت حالاً لهم لا ينفكّ عنهم ؛ فقولهم التوحيد ، وعملهم التوحيد ، وجهادهم التوحيد ؛ فحققوه قولاً وعملاً ودعوة وجهاداً ومقاماً وحالاً . . . «وإذا تعلّقت همة العبد في الله تعالى طلباً صادقاً خالصاً محضاً فتلك هي الهمة العالية ، فمن كان كذلك فلا يقدر على التمهل بل تلزمه بطلب المقصود . وصاحب هذه الهمة سريع وصوله وظفره بمطلوبه ما لم تعقه العوائق ، وتقطعه العلائق . .»[٣] .

فهؤلاء الفتية في قومتهم للصدع بالحق كانت همتّهم عالية .

همة اتصلت بالله تعالى طلباً وقصداً .

وهمة اتصلت بخلقه دعوة ونصحاً ، فوجدت مطلوبها ومقصودها بالإخلاص ، وطلبها بالصدق وطريقها بالمتابعة قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللّهِ وعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ .

تحقيق التوحيد قولاً وعملاً ، والاستدلال على المطلوب بجنس استدلال الرسل.

فقاموا قومة في ذات الله تعالى توحيداً ، فشرعوا بادىء بدء بأجل مقصد من مقاصد الرسل الضرورية ألا وهو مقصد التعريف باللّه ربّاً ومعبوداً وبأسمائه لتبنى على هذا المقصد مطالب الرسالة الأخرى .

شرعوا بالتعريف بالتوحيد مستدلين بجنس استدلال الرسل قالوا : ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الأَرْضِ﴾ ولم يقولوا : (رب السماوات والأرض ربنا) وفي إيثار تقديم

> فكان إيمانهم توحيداً وقومتهم توحيداً وقولهم توحيداً واستدلالهم إلى التوحيد فطرياً فاستحقّوا بموجب ذلك وصف الولاية الشرعية؛ لهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في "المجموع" (٢٢/١٧): "وقصة أهل الكهف أحسن قصص أولياء الله الذين كانوا في زمن الفترة".

الرب مضافاً إليهم على تقديمه مضافاً إلى السماوات والأرض مع ما فيه من إظهار اعترافهم بأنهم مربوبون للّه تعالى وإقرارهم بما في أنفسهم علي ما حولهم من العوالم فإنه يدل أيضاً على أنهم استدلوا بالله تعالى على معرفة الأشياء ، لا بالأشياء والخلق على معرفة الله ، وإن كان الثاني يتحصّل به المطلوب ، لكن استدلال الرسل هو الأكمل والأحكم ، وبهذا قال تعالى في تقرير استدلالهم : ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فالرسل صلوات الله عليهم استدلوا بالله تعالى على الأشياء وهذا استدلال تام ، فكان استدلال أصحاب الكهف من جنس هذا الاستدلال بهذا ، قال تعالى : ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ .

فكان إيمانهم توحيداً ، وقومتهم توحيداً ، وقولهم توحيداً ، واستدلالهم إلى التوحيد فطرياً ، فاستحقّوا بموجب ذلك وصف الولاية الشرعية ؛ لهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في «المجموع» (٢٢/١٧) : «وقصة أهل الكهف أحسن قصص أولياء الله الذين كانوا في زمن الفترة» أ .هـ .

وسيأتي ـ إن شاء الله تعالى ـ في العدد القادم الكلام على المقصود من قومتهم ، وتحقيق أن المراد بها توحيد الإلهية ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

● الهوامش :

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (١٤/٥) .

(٢) انظر «مدارج السالكين» (٦٧/٣ ـ ٦٨) .

(٣) من كلام ابن القيم في « المدارج» (٣/٣ ـ ٤) .

كان يقال: امش ميلاً وعد مريضاً، وامش ميلين واصلح بين اثنين، وامش ثلاثة أميال وزر أخاً في الله.

[عيون الأخبار ٣ / ٣٢]

بقلم : الشيخ الدكتور أحمد طاهر أويس

إصلاح ذات البين

إن من أفضل الأعمال وأقرب القربات إلى الله إصلاح ذات البين بين المسلمين ، ومنع وقوع فساد ذات بينهم . والمسلم إذا لم يستطع أن ينفع المسلمين ولو قليلاً ؛ فعليه أن يكف شره عن المسلمين .

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : «الإنسان ثلاث مائة وستون عظماً ، أو ستة وثلاثون سلامى ، عليه في كل يوم صدقة ، قالوا : فمن لم يجد؟ قال : يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، قالوا : فمن لم يستطع؟ قال : فليعن ضعيفاً ، قالوا : فمن لم يستطع ذلك؟ قال : فليدع الناس شره» .

وقبل أن نتناول الكلام في إصلاح ذات البين ؛ نريد أن نتعرف أولاً على الأشياء التي تفسد ذات بين المجتمع الإسلامي ، سواء أكانت العلاقات الاجتماعية والأسرية والفردية ، وكيفية منع وقوع إفساد ذات البين ؛ لأن الوقاية خير من العلاج .

فمن الأشياء التي يتولد منها إفساد ذات البين ويجب مقاومته :

١ ـ البغي ، والظلم ، والحسد ، والأنانية ، والعصبية ، والشح ، والبخل ، وحب الظهور ، واحتقار الناس ، والتكبر عليهم ، وظلمهم ، وأخذ أموالهم بالباطل ، وضربهم ، وقتلهم ، وإذلالهم .

عن هريرة عن النبي ﷺ : «المسلم أخو المسلم ؛ لا يخونه ، ولا يكذبه ، ولا يخذله . كل المسلم على المسلم حرام ؛ عرضه ، وماله ، ودمه . التقوى ها هنا ـ وأشار إلى القلب ـ ، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم» .

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لاَ يَسْخَرَ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُوْنُوا خَيْراً مِنْهُمْ﴾ .

وأخرج مسلم عن جابر بن عبد الله : أن رسول الله ﷺ قال : «إياكم والظلم ؛ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، وإياكم والشحّ ؛ فإنه أهلك من كان قبلكم ،

حملهم أن يسفكوا دماءهم ، واستحلّوا محارمهم» .

وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث كعب بن مالك عن النبي ﷺ : «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف» .

مَهِينٍ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ .

وقال تعالى : ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾

روى الشيخان من حديث حذيفة : أن النبي ﷺ قال : «لا يدخل الجنة

يجب على الأفراد أو الفئات المسلمة الذين تحدث بينهم وبين غيرهم مشاكل وقلاقل: أن يحترموا من يأتيهم لإصلاح ذات البين، وأن لا يستنكفوا عن قبول نصائحهم، والانقياد للحق والعدالة، فإن الكبر: بطر الحق، وغمط الناس. ولأن عدم تقديرهم لجهود إخوانهم سيثبط همة من سيقوم بتلك المهمة النبيلة، وسيكون سبباً في بُعْد الناس عن القيام بإصلاح ذات البين، وبذلك ينتشر الفساد والشر في المجتمع الإسلامي.

٢ ـ المزاح ، والغيبة ، والنميمة ، والشتم ، والطعن في أعراض الناس ، وأنسابهم ، وبلدانهم ، وآبائهم ، والتفاخر ، وإثارة النعرات القديمة الجاهلية ، وتربية الأولاد على هذه العادة الجاهلية .

قال تعالى : ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ .

وقال تعالى : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ

قتّات» ؛ أي : نمام .

وروى مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :«اثنتان في الناس هما بهم كفر ؛ الطعن في الأنساب ، والنياحة على الميت» .

وروى الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : «لينتهيّن أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا ؛ إنما هم فحم جهنم ، أو ليكونُنّ أهون على الله من

الجعل الذي يددأ الخُرْأ بأنفه . إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية ، وفخرها بالآباء ؛ إنما هو مؤمن تقي ، أو فاجر شقي . الناس كلهم بنو آدم ، وآدم خلق من التراب» .

٣ ـ سوء الظنّ بالناس ، فإن الشخص أو الفئام من الناس أو القبيلة قد يستحوذ عليهم الشيطان ، ويلبس عليهم فيسيئون الظنّ بإخوانهم ؛ فيخيّل إليهم أنّ الآخرين أعداء لهم ، وأنهم يدبّرون لهم المكايد ، وقد يتحدّثون بتلك الظنون ، فيعرف الجانب الآخر ما لدى إخوانهم من الظن السّيِّىء ؛ فتنشأ العداوة بين الجانبين .

وقد حذرنا الله ورسوله من الظنّ السيىء ، فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ . وأخرج الشيخان عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ﷺ : «إياكم والظن ؛ فإن الظن أكذب الحديث» .

٤ ـ التناجي بالإثم والعدوان ، وهو منهيّ عنه ؛ لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِيْنَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئاً﴾ .

أخرج مسلم من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال : «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا بإذنه» .

٥ ـ المنافقون والمرجفون والنفعيون الذين يخدمون الشيطان وجنده الذين لا يألون جهداً في إفساد الأمة الإسلامية .

فالكفار أعداء للأمة الإسلامية عامة ، قال تعالى : ﴿لاَ يَأْلُوْنَكُمْ خَبَالاً وَدُّوْا مَا

الإصلاح

يكون على حسب القدرة، فإن استطاع ان يصلح بالقوة ويوقف الفتنة فعل، وإن لم يستطع فباللسان والمال، فإن لم يستطع ذلك فبكراهيته إفساد ذات البين، وأن لا يساهم في إشعال الفتنة، ولا يشارك في إراقة دماء المسلمين، وسلب أموالهم، وهتك أعراضهم.

وليتذكر قول الصادق المصدوق : «إن بين أيديكم فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي. قالوا: فما تامرنا؟ قال: كونوا أحلاس بيوتكم».

عَنتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُوْرُهُمْ أَكْبَرُ﴾ . وقال عزّ من قائل : ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوْا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ﴾ .

٦ ـ عدم الصبر وعدم التحمل ، واللجوء إلى الانتقام والثارات الجاهلية ، وترك التحاكم إلى الشرع ثم إلى العقل والفطرة ، فإذا حصل البغي والظلم جانباً من المجتمع ، وقوبل هذا البغي من الجانب الآخر بالانتقام والثأر ؛ فإن الوضع ينفجر وتسود الفوضى .

وأمرنا الله ورسوله بالصبر والتحمل ؛ فقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُوْنَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ . وقال ﷺ للأنصار : «فإنّكم ستلقون أثرة من بعدي فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» .

٧ ـ التقصير في إقامة دين الله من فعل الواجبات وترك المنهيات ، وضعف الإيمان في القلوب ، وفقدان خشية الله . فعند ذلك تضطرب أحوال المجتمع ؛ لأن المجتمع إذا ضيعوا حق الله تعالى عليهم ، فمن باب أولى أن يضيعوا حقوق العباد بينهم .

قال تعالى : ﴿وَلاَ تَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ نَسُوْا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ .

وقال تعالى : ﴿وَمِنَ الَّذِيْنَ قَالُوْا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيْثَاقَهُمْ فَنَسُوْا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوْا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ العَدَاوَةَ وَالبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ﴾ .

بهذه النقاط السبعة التي ذكرناها عرفنا الأسباب التي تؤدي إلى إفساد ذات البين ، ومعرفة المرض وتشخيصه نصف العلاج .

ويمكننا الآن أن نتكلم عن إصلاح ذات البين ضمن النقاط الآتية :

١ ـ فضل إصلاح ذات البين .

هناك آيات وأحاديث كثيرة تتحدث عن مكانة إصلاح ذات البين وفضائلها وثواب من يقوم بهذه المهمة الشريفة ، وتأمر المسلمين على القيام بهذه الشعيرة الإسلامية ، فهي من فروض الكفايات ، وقد تكون فرض عين على شخص معين إذا كان لديه مؤهلات تمكنه من إنجاح هذه المهمة دون غيره .

قال تعالى : ﴿فَاتَّقُوْا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ .

وقال تعالى : ﴿لاَ خَيْرَ فِيْ كَثِيْرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوْفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيْهِ أَجْرًا

عَظِيماً﴾ .

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُوْنَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوْا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ .

أخرج الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء : أنّ النّبيّ ﷺ قال : «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة ؛ إصلاح ذات البين ، فإن فساد ذات البين هي الحالقة» .

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ : «الإنسان ثلاث مائة وستون عظماً، او ستة وثلاثون سلامى، عليه في كل يوم صدقة، قالوا: فمن لم يجد؟ قال: يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قالوا: فمن لم يستطع؟ قال: فليعن ضعيفاً، قالوا: فمن لم يستطع ذلك؟ قال: فليدع الناس شره»

رجال إسناده ثقات، رجال الصحيحين.

٢ ـ من أين نبدأ الإصلاح؟

نبدأ إصلاح ذات البين أولاً بتذكير الناس وتخويفهم من عقابه ، والترغيب في ثواب الله ، والحث على اتباع سيد المرسلين محمد ﷺ ، والتخلّق بأخلاقه ، والتأدّب بآدابه ، وتطبيق شريعة الله في أمورهم والتحاكم إليها . ويؤمر الناس بأداء الواجبات من الصلاة والصوم والصدقة وترك المنهيات والمبتدعات والخرافات ، ويوعظ الناس بإخلاص العبادة لله وحده ، ومراقبته في السر والعلن ؛ لأن أخطر شيء يتولد منه الإفساد ذات البين هو الإفراط في حقوق الله على العباد .

٣ ـ شروط المصلح .

إصلاح ذات البين أمر جليل لا يحسنه كل أحد ؛ فيجب أن يكون الذي يقوم بهذه المهمة مخلصاً : يخاف الله في السر والعلانية ، عادلاً عارفاً بحقيقة القضية .

٤ ـ الإصلاح يكون على حسب القدرة ، فإن استطاع أن يصلح بالقوة ويوقف الفتنة فعل ، وإن لم يستطع فباللسان وبالمال ، فإن لم يستطع ذلك فبكراهيته إفساد ذات البين ، وأن لا يساهم في إشعال الفتنة ، ولا يشارك في إراقة دماء المسلمين ، وسلب أموالهم ،

وهتك أعراضهم .

وليتذكر قول الصادق المصدوق : «إن بين أيديكم فتناً كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي» قالوا : فما تأمرنا؟ قال : كونوا أحلاس بيوتكم» .

وروى أبو داود من حديث عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : «لا يزال المسلم مُعْنِقاً[1] في دينه ما لم يصب دماً حراماً فإذا أصاب دماً حراماً بَلّح[2]» .

٤ ـ الدعاء في ظهر الغيب للمتخاصمين والمتقاطعين ، لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء . والدعاء سلاح قوي وهو العبادة .

٥ ـ يجب على الأفراد أو الفئات المسلمة الذين تحدث بينهم وبين غيرهم مشاكل وقلاقل : أن يحترموا من يأتيهم لإصلاح ذات البين ، وإن لا يستنكفوا عن قبول نصائحهم ، والانقياد للحق والعدالة ، فإن الكبر ، بطر الحق وغمط الناس ، ولأن عدم تقديرهم لجهود إخوانهم سيثبط همة من سيقوم بتلك المهمة النبيلة ، وسيكون سبباً في بعد الناس عن القيام بإصلاح ذات البين ، وبذلك ينتشر الفساد والشر في المجتمع الإسلامي .

نسأل الله تعالى أن يصلح ذات بيننا ، وأن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به المسلمين .

* الحواشي :

(١) طويل العنق ، الذي له سوابق في الخير . (الأصالة) .

(٢) أي أعيا وانقطع . (الأصالة) .

قال ابن شُبْرُمة: إذا سرَّك أن تَعْظُمَ في عَيْنِ مَن كنتَ في عينه صغيراً، ويَصغُرَ في عينكَ من كان في عينك عظيماً، فتعلَّم العربيّةَ، فإنها تُجريك على المَنطِق وتُدنيك من السُّلطان. ويقال: النحو في العلم بمنزلة المِلح في القِدر والرَّامِك في الطِّيب. ويقال: الإعرابُ حِليَةُ الكلام ووشيُهُ.

بقلم : الشيخ الدكتور محمد بن موسى بن نصر

الرجولة في الكتاب والسنة

إن من مصائب هذا الزمان الذي لا تعد ولا تحصى : فَقْدَ كثيرٍ من الذُّكور رجولتهم ؛ فليس كل ذكر رجلاً ولو أطال شاربه ، حتى قام معه إذا قام أو قعد معه إذا قعد ، فالرجولة ليست بفتل الشارب ولبس البنطال والصراخ في المجالس ؛ إنما الرجولة أن يتصف صاحبها بالرجال شكلاً ومضموناً ، مظهراً ومخبراً ، ظاهراً وباطناً .

وقد عرف العلماء الرجولة فقالوا : الرجل : الذكر من نوع الإنسان خلاف المرأة .

قال الراغب الأصفهاني : الرجل تختص بالذَّكَر من الناس قال تعالى : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكاً لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً﴾ [الأنعام : ٩] ويقال للمرأة : رَجُلَة : إذا كانت متشبهة بالرجل في بعض أحوالها .

قال الشاعر : لم ينالوا حُرمة الرَّجُلَة[1] .

ويقال للغلام إذا شبّ واحتلم رجلاً ، وجمعه رجال .

وفي التنزيل : ﴿وَاسْتَشْهِدوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُم﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

وجمع الجمع رجالات ، وقد يكون الرجل صفة يعني بذلك الشدة والكمال .

وقد نهى النبي ﷺ عن ترجل المرأة إذا صارت كالرجل ، وفي الحديث أنه : «لعن المترجلات من النساء» وهنّ اللاتي يتشبّهن بالرجال في زيّهم وهيئاتهم ومشيهم وغير ذلك .

وعليه فيمكن تعريف الرجولة بأنها اتصاف المرء بما يتصف به الرجل عادة[2] .

والرجولة في أظهر معانيها : اتصاف الإنسان بما يوصف به الرجال عادة من نحو تحمل الأعباء الثقال ، ومن أبرز ذلك تحمل الرسل الكرام لأعباء الرسالة قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِم﴾ .

وفيه دليل على أنّ أعباء الرسالة لا تقوى على حملها النساء ؛ لذلك اقتضت

إن التربية الغربية بأفكارها وثقافتها وقوانينها تعمل على تخنيث الذكور وقتل الرجولة فيهم، مثلما تعمل على ترجيل المرأة وتسلطها على الرجل، وسلب القوامة من يده وسحب البساط من تحت رجليه حتى يغدو هو وشماعة الأثاث سواءً بسواء.

حكمة الله أن يبعث الرسل من جنس الرجال، لا من جنس النساء، وأن تكون الأمامة الكبرى للرجل لا للمرأة، وقد مدح الله الرجال في صدقهم بعهدهم، وأن إخلافهم للعهد يتنافى مع هذه الرجولة قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢].

ومدحهم الله بحب التطهّر فقال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ [التوبة: ١٠٨].

ومدحهم باشتغالهم بعبادته وطاعته وعدم انشغالهم بدنياهم عن طاعته وذكره وعبادته قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

وجعل الله القوامة للرجل على المرأة فقال: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[النساء: ٣٤].

فضل جنس الرجل على المرأة فقال: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وجعل الرجل يقابل امرأتين في الشهادة قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾[البقرة: ٢٨٢]

والرجولة من صفات النبيين قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَباً أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ [يونس: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾[يوسف ١٠٩].

والرجولة أعلى صفات الذكورة، قال تعالى: ﴿غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ [النور: ٣١].

أما السنة النبوية المطهّرة فقد ورد فيها ذكر الرجولة والرجال.

فعن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل

من النساء غير مريم بنت عمران ، وآسية امرأة فرعون ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام»[٣] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه : أنّ سعد بن عبادة الأنصاري قال : يا رسول الله أرأيت الرجل يجد مع امرأته رجلاً ؛ أيقتله؟! قال : «لا» . قال سعد : بلى والذي أكرمك بالحق ، فقال رسول الله ﷺ : «اسمعوا إلى ما يقول سيدكم»[٤] .

قلت : والحديث بمنطوقه ومفهومه يدل دلالة صريحة واضحة على أن الذي لا يغار على زوجته ليس رجلاً ، بل قد صرّحت بعض الأحاديث بأنه ديوث ، والجنة عليه حرام .

فهل هذا الذي يقرّ الخبث في أهل بيته رجلاً؟

وهل ذاك الذي يسمح لزوجته بالتبرج رجلاً؟ وهل هؤلاء الذين يسمحون لبناتهم بالاختلاط بالرجال في ميادين عملهم ، ويختلون بهم في مكاتبهم رجالاً؟!

كلا والذي نفسي بيده ، فكم هي الجناية عظيمة ، وكم هي فداحة الخطب حينما فقد الذكور رجولتهم ، فأصبحوا لا ترى من رجولتهم إلا أشباحاً وسراباً ، ولكن الرجولة في واد وهم في واد آخر .

إن التربية الغربية بأفكارها وثقافتها وقوانينها تعمل على تخنيث الذكور وقتل الرجولة فيهم ، مثلما تعمل على ترجيل المرأة وتسلطها على الرجل ، وسلب القوامة من يده وسحب البساط من تحت رجليه حتى يغدو هو وشماعة الأثاث سواءً بسواء .

فكم هم هؤلاء الذين سُلِبت منهم رجولتهم بقصد أو بغير قصد في مجتمعاتنا؟! حتى غدوا أصفاراً على الشمال ، لا وزن لها ولا قيمة . . . والله المستعان .

● الهوامش :

(١) «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني (ص ١٨٩) .

(٢) «الكليات» للكفوي (١/ ٣٩٣) .

(٣) أخرجه البخاري ومسلم واللفظ له .

(٤) أخرجه البخاري ومسلم .

بقلم : الشيخ سعد الحصين

في الولاء والبراء الشرعي والحركي

الـولاء ؛ لله ولرسوله وللمؤمنين ، قال الله تعـالى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا الَّذِيْنَ يُقِيْمُوْنَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُوْلَهُ وَالَّذِيْنَ آمَنوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُوْنَ﴾ .

والبـــراء ؛ من أعـداء الله ورسـوله وشـرعـه ، وهم الكافرون والمشركون بالله في عبادته مهما كان انتماؤهم وشعارهم .

فـمناط الولاء : الجمع بين صحة المعتقد (بإفراد الله بالعبادة) ، وصلاح العمل (باتباع السنّة) ، وفي هذا جماع الخير كلّه ، وقد مدح الله ﴿الَّذِيْنَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في أكثر من خمسين آية ، وفي معناها ما يصعب حصره .

ومناط البـراء : الشرك في الاعتقاد (بدعاء غير الله معه تقرباً إليه) ، والابتداع في العمل (بعبادة الله على نحوٍ لم يأذن به الله) قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُوْلَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيْلِ المُؤْمِنِيْنَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ونُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيْراً﴾ .

وسبب الجهل بهذه الحقيقة النّاصعة في حاضرنا : أنّ جميع الحركات الفكرية (الموصوفة بالإسلامية) نشأت في بلاد يحتلها ويحكمها غير المسلمين من يهود أو نصارى أو وثنيين أو ملحدين ؛ فانحرفت عقيدة الولاء والبراء إلى مسار ضيّق بتطبيقها على فئة واحدة من البشر ؛ هم الحكّام .

وسوّل الشيطان لدعاة الفكر المحدثين أن « التكتيك المرحلي» يقتضي التركيز على معاداة الحاكم والسّكوت عن أخطاء الرعية : الشرك فما دونه ، بحجة أن أولئك كفار ، وهؤلاء مسلمون يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وما خالف العقيدة والسّنّة من أقوالهم أو أفعالهم فهو ناتج عن جهل يسهل تغييره ووراءه إيمان عميق تغطّيه العادات والتقاليد ، والمرحلة

الحاضرة تستدعي جمع الصفوف وراء فكرة واحدة يتفق عليها الجميع : إجلاء المحتلّ الكافر من ديار المسلمين .

ولمّا خرجت جيوش الاحتلال من البلاد المسلمة والكافرة بانتهاء دور الاحتلال العسكري الأجنبي ، وجدت الحركات الفكريّة على اختلاف شعاراتها أن ليس في صالحها تغيير الهدف الذي جمع الناس حولها ؛ فحوّلت العداء إلى الحاكم المسلم .

أما الولاء فقد حصره كلّ حزب «إسلامي» في نطاقه : لقادته وأتباعه والموالين له . ومن باب أولى بقي كذلك .

ولو كان «الحزبيون الإسلاميون» يحكّمون ما أنزل الله (شعارهم الحركي) لعرفوا من الآيات المحكمة في كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه ﷺ الصحيحة الصريحة :

* أن عقيدة الولاء والبراء في الشريعة منافيةٌ للتعصّب الفردي أو الحزبي أو القبلي أو الجغرافي ، قال الله تعالى : ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا فِي قُلُوْبِهِمُ الحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ﴾ . وأنّها (ككل عبادة أخرى) لا بدّ أن تتّصف بالإخلاص لله وحده والطّاعة لله ولرسوله ، لا تشوبها أي شائبة من الهوى وقصد الدّنيا ، قال الله تعالى : ﴿مَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيْدُ حَرْثَ الدُّنْيا نُؤْتِهِ مِنْها وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيْبٍ﴾ .

> روى البخاري ومسلم في «الصحيحين» عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات؛ فميتته جاهلية»..

* أن الله تعالى أمر بطاعة ولي الأمر المسلم : ﴿يا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا أَطِيْعُوا اللَّهَ وَأَطِيْعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُم﴾ ، وبيّنت السنّة أنّ طاعة ولي الأمر المسلم فرض عين لا يسقطه ظلمه أو جوره أو فسوقه أو فجوره ؛ فقد أخرج البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه : أنّ رسول الله ﷺ قال : «إنّها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها» .

(والأثرة : الاستئثار بالأموال والمتاع الدنيوي ، والأمور المنكرة : هي في الدين) قالوا : يا رسول الله ، فما تأمرنا؟ قال : «تؤدّون الحقّ الذي عليكم ، وتسألون الله الذي لكم» .

وروى مسلم في «صحيحه» عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنّون بسنّتي» قلت : كيف أصنع إن أدركت ذلك؟ قال : «تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك» .

وروى البخاري ومسلم في «الصحيحين» عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قال : «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات ؛ فميتته جاهلية» .

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات ؛ مات ميتة جاهلية» .

فكيف بمن يخرج عن طاعة أميره المسلم ؛ ويفارق جماعة المسلمين ، ويهاجر من ديار الإسلام إلى ديار الكفر في هذا السبيل؟

وفي «صحيح مسلم» : عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ : «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخّرون (أو يميتون) الصلاة عن وقتها؟» قلت : فما تأمرني؟ قال : «صلّ الصلاة لوقتها ، فإن أدركتها معهم فصلّ ؛ فإنها لك نافلة» ؛ لم يأذن رسول الله ﷺ لخيار الأمة ـ فضلاً عن سفهائها ـ بإظهار مخالفة ولي الأمر المسلم حتى لو أخّر صلاة الجماعة عن وقتها ، ومعلوم أنّ الصّلاة إذا أخرت عن وقتها عمداً بطلت .

* أن الاستثناء الوحيد من عموم الأمر بطاعة ولاة الأمر : تنفيذ الأمر بمعصية الله ؛ كما ثبت في «الصحيحين» عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال : «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ وكره إلاّ أن يؤمر بمعصيةٍ ، فإن أُمر بمعصيةٍ فلا سمع ولا طاعة» .

ومع ذلك لا يجوز له الخروج عن الطاعة مطلقاً فيما ليس فيه معصية ؛ كما قال الله تعالى في طاعة الوالدين : ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾ .

وكلّ منتمٍ إلى جماعة خاصة أو حزب أو طريقة أو فرقة (وإن وصفت زوراً بالإسلاميّة) فهو متشيّع لها ولأميرها ومنهاجها منعزل بذلك عن جماعة المسلمين. وليس التشيّع المنكر خاصّ بالأخذ عن آل البيت وحدهم، بل هم خير من يتشيّع لهم لو كان التشيّع لبشر (غير معصوم) شرعاً.

وكما نهى الله المؤمنين عن اتباع سبيل الكافرين ، وأباح التّعامل معهم ، وأمر بالعدل فيهم والإحسان في مجادلتهم ، ونهى عن الاعتداء عليهم .

ومع ظهور المعاصي في بلاد المسلمين : الشرك فما دونه ؛ لم يؤمر أحد باقترافها .

* أن تفريق جماعة المسلمين إلى فرق وأحزاب وجماعات وطرق وطوائف بحجة توحيد الصّفّ والكلمة ، وتحكيم ما أنزلَ الله ، أمر يخالف الشرع المبين والعقل المستقيم ؛ فالتفرّق مناف للتجمّع والاتحاد ، وقد نهى الله عنه في محكم كتابه ؛ قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ فَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ .

وكلّ منتم إلى جماعة خاصة أو حزب أو طريقة أو فرقة (وإن وصفت زوراً بالإسلاميّة) فهو متشيّع لها ولأميرها ومنهاجها منعزل بذلك عن جماعة المسلمين .

وليس التشيّع المنكر خاصّ بالأخذ عن آل البيت وحدهم ، بل هم خير من يتشيّع لهم لو كان التشيّع لبشر (غير معصوم) شرعاً .

* أنّ الدعوة إلى الله على بصيرة (كما شرعها الله لرسله ولأتباعهم من بعدهم) عامّة لجميع أهل الأرض : رعاة ورعية ، شباباً وشيوخاً ، ذكوراً وإناثاً ، مسلمين وكافرين ؛ يُدعون أولاً وقبل كل شيء وعلى كل حال ، بالأمر بإفراد الله بالعبادة والتحذير من الشرك وأهله وذرائعه ، ثم إلى العبادات العمليّة والمعاملات والأخلاق الشرعية ، ويذكّرون بآلاء الله ويرغّبون في رضاه وثوابه ويخوّفون من غضبه وعقابه .

ومن يعرف واقع المنتمين إلى الإسلام اليوم ويتحرّى العدل ؛ يعترف بأن كثيراً من الرعايا أسوأ من أكثر الرعاة في الشرك والمعاصي وتحكيم قوانين البشر وأهوائهم ، والله الموعد .

الحلقة الأولى

بقلم : الشيخ أبي أسامة سليم الهلالي

ضوابط الهجر الشرعي

إن هجر أهل البدع والمعاصي الظاهرة صورة مشرقة من حياة السلف الصالح الأول : تذكر المسلم بالأسباب الوقائية من جذام أهل البدع وسيل أهل الأهواء العرم ، وتحصن القاعدة الإسلامية من شوائب الآراء المضلة .

إن الزجر بالهجر باب من الفقه الأكبر كبير ، ولهذا تراه شاخصاً في كتب اعتقاد السلف الصالح أهل الحديث ؛ لأنه ينضوي تحت سلطان الأصل العقدي العظيم «الولاء والبراء» الذي مداره على الحب والبغض في الله ولله ، والذي هو رحى العبودية وقطب التوحيد .

ولذا ينبغي زجر أهل البدع بالهجر ، وهجرهم بالحجر استصلاحاً لحالهم ، ليضعفوا عن نشر بدعهم ؛ فيأرزوا إلى جحورهم ؛ فتكون كلمة الوحي كتاباً وسنة هي العليا في حياة المسلمين .

وهكذا تبرز معالم التميّز العقدي الذي يقي من المدّ البدعي ، ويقمع استشراف أهل الأهواء المضلة للاستشراء بين الأمة ، ويعصم عدة المستقبل من شباب اليقظة الإسلامية من الفتن التي صرعتهم في أحضان الأدعياء ، وجعلتهم يتهافتون كالفراش على موائد دعاة الضلالة الذين يدعون إلى النار حتى كثرت الأخلاط ؛ فسرى في أوصال المجتمع المسلم أمراض التميع العقدي والسلوكي تحت شعارات براقة وشارات مضللة فانفرط العقد وسقطت واسطته في الشَّرَك بلا ثمن ؛ فثار في العلوم الشرعية الدخن ، وظهرت في النفوس الإحن على السنن ، فكان ولا بد من التحصن بالنأي عن قوم لا يستطيع السُّنّي أن يوفّي الدين حقه بين ظهرانيهم ، ولذلك شرع الزجر بالهجر ، ولكن للهجر المشروع أحكاماً وضوابط بسطتها في رسالتي «مطلع الفجر في أحكام الزجر بالهجر» ، ودونك إياها :

١ ـ الأصل في الهجر المنع بين المسلمين ، ولذلك حَرَّم الإسلام البغضاء

والحسد والتدابر ، وحض على التوادّ والتعاطف والتراحم ، وما شرع من الهجران فهو للحاجة ؛ لأنه قد يكون في بعض الأحايين لا بد منه للمعالجة لبعض الأدواء في النفوس ، والحاجة تقدر بقدرها ، وقدرها ثلاثة أيام ، وعلى ذلك جملة من الأحاديث النبوية الصحيحة :

أ ـ عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «لا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال»[1] .

ب ـ عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ؛ يلتقيان فيعرض هذا ، ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام»[2] .

ت ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : «لا هجرة بعد ثلاث»[3] .

وفي رواية : «فمن هجر أخاه فوق ثلاث فمات دخل النار»[4] .

ث ـ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : «لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام»[5] .

ج ـ عن عائشة رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ قال : «لا يكون لمسلم أن يهجر مسلماً فوق ثلاثة ؛ فإذا لقيه سلم عليه ثلاث مرار كل ذلك لا يردّ عليه ؛ فقد باء بإثمه»[6] .

ح ـ عن عبد الله بن مسعود قال : ألا إن محمداً ﷺ قال : «إن قتال المسلم كفر ، وسبابه فسوق ، ألا لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق الثلاث»[7] .

لقد دلت هذه الأحاديث بمنطوقها على عدم حل هجرة المسلم لأخيه المسلم فوق

إن هجر أهل البدع والمعاصي الظاهرة صورة مشرقة من حياة السلف الصالح الأول: تذكر المسلم بالأسباب الوقائية من جذام أهل البدع وسيل أهل الأهواء العرم، وتحصن القاعدة الإسلامية من شوائب الآراء المضلة.

ثلاث ليال ، وبمفهومها على إباحتها في الثلاث .

قال النووي : «قال العلماء : في هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال ، وإباحتها في الثلاث الأول بنص الحديث ، والثاني بمفهومه .

قالوا : وإنما عفى عنها في الثلاث ؛ لأن الآدمي مجبول على الغضب وسوء الخلق ونحو ذلك ، فعفي عن الهجرة في الثلاثة ؛ ليذهب ذلك العارض»[٨] .

ويستثنى من ذلك هجر من له سلطة مادية أو معنوية إن دعت حاجة شرعية لذلك ، وكذلك تأديب من يظهر المنكرات حتى يتوب منها ، ودعاة البدع والأهواء يجوز هجرهم على التأبيد .

وهذه استثناءات تشهد لها السنة الصحيحة ، وتطبيق السلف لذلك .

والنوع الأول يكون ممن له سلطة مادية كالزوج ، فقد حصل هذا من النبي ﷺ حيث هجر بعض نساءه شهراً .

عن عكرمة بن عبد الرحمن بن الحارث : أن أم سلمة أخبرته : أن النبي ﷺ حلف أن لا يدخل على بعض أهله شهراً ، فلما مضى تسعة وعشرين يوماً غدا عليهن ـ أو راح ـ فقيل له : يا نبي الله حلفت أن لا تدخل عليهنّ شهراً ، قال : «الشهر يكون تسعة وعشرين يوماً»[٩] .

ويكون من الإمام والمطاع ؛ كما في قصة كعب بن مالك .

قال ابن عبد البرّ رحمه الله : «وهذا الحديث وإن كان ظاهره العموم ، فهو عندي مخصوص بحديث كعب بن مالك ، حيث أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يهجروه ، ولا يكلموه هو وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة ؛ لتخلفهم عن غزوة تبوك ، حتى أنزل الله توبتهم وعذرهم ، فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يراجعوهم الكلام .

وفي حديث كعب هذا دليل على أنه جائز أن يهجر المرء أخاه إذا بدت له منه بدعة أو فاحشة يرجو أن يكون هجرانه تأديباً له ، وزجراً عنها»[١٠] .

ويكون من الأب ؛ كما فعل عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما مع بعض أبنائه .

عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمر : أن النبي ﷺ قال : «لا يمنعن رجل أهله أن يأتوا المساجد» ، فقال ابن لعبد الله بن عمر : فإنا نمنعهنّ . فقال عبد الله :

أحدثك عن رسول الله ﷺ وتقول هذا؟! قال : فما كلمه عبد الله حتى مات[11] .

وأما من له سلطة معنوية ؛ فكما هجرت عائشة رضي الله عنها ابن أختها عبد الله بن الزبير[12] .

وأما هجر دعاة البدعة ؛ فقد دلت السنة الفعلية على مشروعيته ، وورد عن كثير من السلف ومن بعدهم هجران أهل البدع ومنابذي السنة ، فقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهجر صبيغ بن عسل الذي كان يسأل عن مشكلات القرآن[13] .

عن عبد الله بن مغفل أنه رأى رجلاً يخذف ؛ فقال له : لا تخذف ؛ فإن رسول الله ﷺ نهى عن الخذف ـ أو كان يكره الخذف ـ وقال : «إنه لا يصاد به صيد ، ولا ينكأ به عدو ، ولكنها قد تكسر السن ، وتفقأ العين» ، ثم رآه بعد ذلك يخذف ؛ فقال له : أحدثك عن رسول الله ﷺ : أنه نهى عن الخذف ـ أو كره الخذف ـ وأنت تخذف؟ لا أكلمك كذا وكذا[14] .

قال النووي رحمه الله : «فيه هجران أهل البدع والفسوق ومنابذي السنة مع العلم ، وأنه يجوز هجرانه دائماً ، والنهي عن الهجران فوق ثلاثة أيام إنما هو فيمن هجر لحظ نفسه ، ومعايش الدنيا ، وأما أهل البدع ونحوهم فهجرانهم دائماً ، وهذا الحديث مما يؤيده مع نظائر له كحديث كعب بن مالك وغيره»[15] .

وهذا موقف السلف بعامة ؛ كما قال

قال البغوي رحمه الله: "قد أخبر النبي ﷺ عن افتراق هذه الأمة، وظهور الأهواء والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته وسنة أصحابه رضي الله عنهم، فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلاً يتعاطى شيئاً من الأهواء والبدع معتقداً، أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره، ويتبرأ منه، ويتركه حياً وميتاً، فلا يسلم عليه إذا لقيه، ولا يجيبه إذا ابتدأ إلى أن يترك بدعته، ويراجع الحق".

والنهي عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة دون ما كان ذلك في حق الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلى أن يتوبوا.

شيخ الإسلام : «الهجر على وجه التأديب ، وهو هجر من يظهر المنكرات ، يهجر حتى يتوب منها ، كما هجر النبي ﷺ والمسلمون : الثلاثة الذين خلفوا ، حتى أنزل الله توبتهم ، حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر ، ولم يهجر من أظهر الخير وإن كان منافقاً ، فهنا الهجر هو بمنزلة التعزير .

والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات وفعل المحرمات ، كتارك الصلاة والزكاة ، والتظاهر بالمظالم والفواحش ، والداعي إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة التي ظهر أنها بدع وهذه حقيقة قول من قال من السلف والأئمة : أن الدعاة إلى البدع لا تقبل شهادتهم ، ولا يصلى خلفهم ، ولا يؤخذ عنهم العلم ، ولا يناكحون ، فهذه عقوبة حتى ينتهوا ، ولهذا يفرقون بين الداعية وغير الداعية ، لأن الداعية أظهر المنكرات ، فاستحق العقوبة ، بخلاف الكاتم ، فإنه ليس شراً من المنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم ، ويكل سرائرهم إلى الله ، مع علمه بحال كثير منهم»[١٦] .

قال البغوي رحمه الله : «قد أخبر النبي ﷺ عن افتراق هذه الأمة ، وظهور الأهواء والبدع فيهم ، وحكم بالنجاة لمن اتبع سنته وسنة أصحابه رضي الله عنهم ، فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلاً يتعاطى شيئاً من الأهواء والبدع معتقداً ، أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره ، ويتبرأ منه ، ويتركه حياً وميتاً ، فلا يسلم عليه إذا لقيه ، ولا يجيبه إذا ابتدأ إلى أن يترك بدعته ، ويراجع الحق .

والنهي عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة دون ما كان ذلك في حق الدين ، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلى أن يتوبوا .

قال كعب بن مالك في قصة تخلفه وتخلف صاحبيه : مرارة بن الربيع وهلال بن أمية عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك على ما (وساقه بإسناده) .

وفيه دليل على هجران أهل البدع على التأبيد ، وكان رسول الله ﷺ خاف على كعب وأصحابه النفاق حين تخلفوا عن الخروج معه ؛ فأمر بهجرانهم إلى أن أنزل الله توبتهم ، وعرف رسول الله ﷺ براءتهم ، وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم وعلماء السنة على هذا مجمعين

متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم»[17] .

وإجماع السلف من الصّحابة ومن تبعهم من علماء الملة وفقهاء الأمة على هجران أهل البدع نقله أيضاً الخلال وأبو يعلى وابن عبد البر والغزالي وغيرهم .

وبهذا يتضح : أن النهي عن الهجر فوق الثلاث محمول على من لم يكن هجرانه شرعياً[18] .

وسيأتي الكلام على شرط كون الهجر شرعياً في العدد القادم إن شاء الله تعالى .

● الهوامش :

(١) أخرجه البخاري (٦٠٧٦) ، ومسلم (٢٥٥٩) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٧) ، ومسلم (٢٥٦٠) .

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٢) .

(٤) صحيح ـ أخرجه أبو داود (٤١٩٤) ، وأحمد (٣٩٢/٢ و٤٥٦) بإسناد صحيح .

(٥) أخرجه مسلم (٢٥٦١) .

(٦) حسن ـ أخرجه أبو داود (٣١٩٤) وغيره بإسناد حسن .

(٧) صحيح ـ أخرجه الطيالسي (٣٠٦) بإسناد صحيح .

(٨) «شرح صحيح مسلم» (١١٧/١٦) .

(٩) أخرجه البخاري (٥٢٠٢) .

(١٠) «التمهيد» (١١٧/٦ ـ ١١٨) .

(١١) أخرجه أحمد (٣٦/٢) بإسناد صحيح .

(١٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٣ و٦٠٧٤ و٦٠٧٥) .

(١٣) لهذه القصة طرق كثيرة ذكرها الدارمي (٥٥/١ ـ ٥٦) ، وابن وضاح في « البدع والنهي عنها» (ص ٥٦ ، ٥٧) ، والآجري في «الشريعة» (ص ٧٣) ، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١١٣٦ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠) .

قلت : وهي لا تخلو من مقال ، لكن يشد بعضها بعضاً .

وقد أوعب الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (١٩٨/٢ ـ ١٩٩) فذكرها بعدة ألفاظ ، وصحح بعض أسانيدها .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في «تفسير القرآن العظيم» (٢٤٨/٤) : «فإن قصة صبيغ بن عسل مشهورة مع عمر رضي الله عنه ، وإنما ضربه لأنه ظهر له من أمره فيما يسأل تعنّتاً وعناداً ، والله أعلم» .

(١٤) أخرجه البخاري (٥٤٧٩) ، ومسلم (١٩٥٤) (٥٦) .

(١٥) «شرح صحيح مسلم» (١٠٦/١٣) .

(١٦) «مجموع الفتاوى» (٢٠٤/٢٨ ـ ٢٠٥) .

(١٧) «شرح السنة» (٢٢٤/١ ـ ٢٢٧) .

(١٨) «فتح الباري» (١٢٤/٨) .

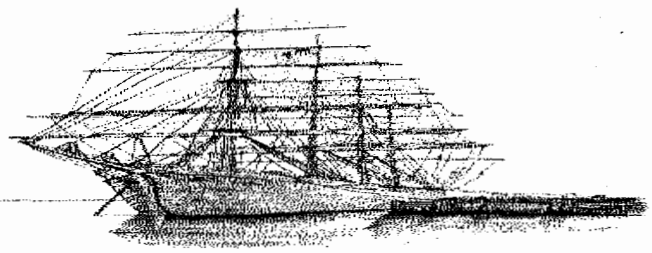

الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز

نصيحة وذكرى

أيها الإخوة في الله:

أوصيكم بتقوى الله ؛ فإنها وصيته سبحانه ، وهي وصية رسوله عليه الصلاة والسلام .

قال الله جل وعلا : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِيْنَ أُوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ .

وقال جل وعلا : ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ . . .﴾ الآيات .

وقال سبحانه : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُوْلُوا قَوْلاً سَدِيْداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُم ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوْبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيْماً﴾ .

وقال عزّ وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ولْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لغَد وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيْرٌ بِمَا تَعْمَلُوْنَ وَلاَ تَكُوْنوا كَالَّذِيْنَ نَسَوُا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الفَاسِقُوْنَ لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابَ النَارِ وأَصْحَابُ الجَنَّةِ أَصْحَابُ الجَنَّةِ هُمُ الفَائِزُوْنَ﴾ .

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الفائزين .

أيها الإخوة في الله:

الواجب على كل مكلف من الرجال والنساء ، من العجم والعرب ، من جميع أجناس بني آدم ، الواجب على الجميع تقوى الله ، فقد خلقوا لهذا ، ليعبدوا الله ، وهم مأمورون بذلك ؛ كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُوْنِ﴾ ، وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِيْنَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُم تَتَّقُوْنَ﴾ .

وبعث الله الرسل بذلك فقال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُوْلاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوْتَ﴾ .

وهذه العبادة التي خلقوا لها ، وأمروا بها ، وبعث بها الرسل هي : التقوى ،

وهي الإيمان والهدى ، وهي الإسلام والبرّ ، وطاعة الله ورسوله .

فالواجب على جميع الثقلين ـ الإنس والجن ـ أن يتقوا الله ، وأن يحققوا هذه العبادة بتوحيد الله والإخلاص له ، وطاعة أوامره ، واجتناب نواهيه ، والوقوف عند حدوده ، رجاء ثوابه ، وحذر عقابه سبحانه وتعالى .

*** ضرورة التفقه في الدين:**

ولا سبيل إلى هذا إلا بالتفقه في الدين ، والتعلم حتى يعرف المؤمن والمؤمنة ما هي العبادة التي خلقوا لها ، وما هو الإسلام ، وما هو الإيمان فلا بد من التعلم .

ويقول الرسول ﷺ : «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين» .

ويقول عليه الصلاة والسلام : «من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً ، سهّل الله له به طريقاً إلى الجنة» .

فالواجب ـ كما ذكرنا ـ التفقه في الدين والتعلم حتى يعرف كل واحد لماذا خلق ، وما هو الواجب عليه وحتى يعبد الله على بصيرة وعلى علم ، فعبادة الله هي توحيده وطاعته وهي تقواه والإيمان به وبرسوله وطاعة الأوامر واجتناب النواهي . . . هذه هي التقوى .

ووصيتي لكم جميعاً ولنفسي هي تقوى الله والعناية بالتفقه في الدين ، والتبصر حتى يعي كل واحد ما أوجب الله عليه وما حرم عليه ، وحتى يدعو إلى الله على بصيرة أينما كان .

*** التوحيد أعظم منزلة:**

وأهم منازل التقوى وأعظمها وأساسها توحيد الله ، وهي معنى شهادة أن لا إله

فالواجب عليكم أيها الإخوة وأيها الأبناء التفقه في دين الله والتبصر، والدعوة إلى الله والعمل بشريعته وتوجيه الناس إلى الخير، وتحذيرهم من الشر، وأن تكونوا قدوة في الخير، بأن تتعلموا وتعملوا وتدعوا إلى الله وتكونوا قدوة لغيركم بإيمانكم وسيرتكم وأخلاقكم فإن طالب العلم مقتدى به ينتفع بقوله وعمله وسيرته.

إلا الله ؛ أي لا معبود بحق إلا الله ، وهكذا الإيمان بالشهادة الثانية ؛ شهادة أن محمداً رسول الله والتدبر في معناهما ، وهما أصل الدين وأساس الملّة ، فيوحّد الله ويخلص له العبادة ، ويؤمن برسوله ﷺ ، وأنه رسول الله إلى جميع الثقلين الجنّ والإنس ، وأنه خاتم الأنبياء ، وأن الواجب اتباعه والاستقامة على دينه ، ثم بعدها الصلوات الخمس فهي عمود الإسلام ، وأهم الفروض بعد الشهادتين ، فالواجب المحافظة عليها ، والتفقه فيها والتواصي بها مع أهلك وجيرانك فهي كما قال رسول الله ﷺ : «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة» .

ثم الزكاة وهي عمود الإسلام بعد الشهادتين والصلاة ، فهي الركن الثالث من أركان الإسلام ، ثم الصيام ، ثم الحج ، هذه هي أركان الإسلام الخمس ، كما قال عليه الصلاة والسلام : «بني الإسلام على خمس ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت» .

وأوجب الله علينا الصيام كما أوجبه على الذين من قبلنا وجعله وسيلة للتقوى .

فالواجب على جميع المكلفين من المسلمين صيام رمضان مع صيانته عما حرم الله ، يقول النبي ﷺ : «إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة وغلّقت أبواب جهنم وصفّدت الشياطين» .

وقال ﷺ : «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه» .

ويقول النبي ﷺ : يقول الله عزّ وجلّ : «كلّ عمل ابن ادم له ، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مئة ضعف . يقول الله عز وجل : إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به ، ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي ، للصائم فرحتان : فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» .

ويقول عليه الصلاة والسلام : «الصيام جُنّة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وإن سابّه أحد أو قاتله ، فليقل إني امرؤ صائم» .

وقال عليه الصلاة والسلام : «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» فأوصيكم في

هذا الشهر العظيم بصيامه وقيامه ، وأن يصان عما حرم الله حتى يكون صيامكم مكفراً لسيئاتكم .

ولا بد من صيانة الصيام والقيام عما حرم الله ، والتواصي بطاعته عزّ وجل ، وفي العشر الأخيرة يستحب إحياؤها بالعبادة حيث كان رسول الله ﷺ في العشر الأوائل يقوم وينام ، وكان في العشر الأخيرة يشد مئزره ، ويحيي ليله ؛ فأوصيكم بسنته كما فعل عليه الصلاة والسلام .

وأوصيكم أيضاً بالعناية بالفقراء والمساكين ، ورحمتهم والإحسان إليهم ، ومواساتهم ، ونوصيكم بالإكثار من قراءة القرآن ، ومن فعل الأعمال الطيبة ، والإكثار من الصلاة والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير ، والدعوة إلى الله ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر . . . كل هذا مطلوب في جميع الأوقات وفي كل زمان لكن يشرع للمؤمن أن يضاعف من ذلك في رمضان ويستحب له أن يكثر من قراءة القرآن في أيامه ولياليه ، ويكثر من الصدقات وفعل الخير ، لأن هذا الشهر العظيم له مزية وله فضل ، والأجر فيه مضاعف ، فلا بد من الاستكثار من عمل الخير والمسارعة إلى ذلك .

*** طالب العلم قدوة للآخرين:**

فالواجب عليكم أيها الإخوة وأيها الأبناء التفقه في دين الله والتبصر ، والدعوة إلى الله والعمل بشريعته وتوجيه الناس إلى الخير ، وتحذيرهم من الشر ، وأن تكونوا قدوة في الخير ، بأن تتعلموا وتعملوا ـ وتدعوا إلى الله ـ وتكونوا قدوة لغيركم بإيمانكم وسيرتكم وأخلاقكم فإن طالب العلم مقتدى به ينتفع بقوله وعمله وسيرته ، فأوصيكم بتقوى الله والدعوة إليه ، والاستقامة على دينه ، حتى تكونوا قدوة لغيركم في طاعة الله ورسوله ، والاستقامة على دينه ، والتخلق بالأخلاق .

ـ نسأل الله للجميع التوفيق والمزيد من كل خير ، كما أسأله سبحانه أن يمنحنا وإياكم وسائر المسلمين الثقة بالدين والثبات عليه ، وأن يجنبنا وإياكم مضلات الفتن وهمزات الشيطان ، إنه جل وعلا جواد كريم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ـ نبينا محمد ـ وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان .

مصطلح وبيان

الإسراف والتبذير

الإسراف والتبذير:

المعنى اللغوي للإسراف : هو مجاوزة الحد[1] ، وقد ذكر القليوبي هذا المعنى اللغوي في تعريفه للإسراف ، ولكن بعض العلماء خصّ استعمال الإسراف بالنفقه والأكل .

يقول الجرجاني في «تعريفاته» : «الإسراف تجاوز الحد في النفقة . وقيل : أن يأكل الرجل ما لا يحل له ، أو يأكل ما يحل له فوق الاعتدال ومقدار الحاجة . وقيل : الإسراف تجاوز الكمية ، فهو جهل بمقادير الحقوق . وقيل : هو إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس»[2] .

ومما سبق نستطيع القول : إن الإسراف هو تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان أو قول ، وإن كان في الإنفاق أشهر .

وكما يكون الإسراف في الشر يكون في الخير ، كمن تصدق بجميع ماله كما في قوله تعالى : ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِيْنَ﴾[3] .

والإسراف كما يكون من الغني ، فقد يكون من الفقير أيضاً ، لأنه أمر نسبي .

والإسراف يكون تارة بالقدر ، ويكون تارة بالكيفية ، ولهذا قال سفيان الثوري رضي الله عنه : «ما أنفقت في غير طاعة الله فهو سرف ، وإن كان قليلاً»[4] .

وكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما : «من أنفق درهماً في غير حقه فهو سرف»[5] .

التبذير : هو تفريق المال وإنفاقه في السرف . قال تعالى : ﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيْراً﴾[6] ، وخصّه بعضهم بإنفاق المال في المعاصي ، وتفريقه في غير حق[7] .

ويعرّف بعض الفقهاء التبذير بأنه : «عدم إحسان التصرف في المال ، وصرفه فيما لا ينبغي ، وأما صرف المال إلى وجوه البر فليس بتبذير ، وصرفه في الأطعمة النفيسة التي لا تليق بحاله تبذير»[8] .

وعلى هذا فالتبذير أخص من الإسراف ؛لأن التبذير يستعمل في إنفاق المال في السرف أو المعاصي ، أو في غير

حق ، والإسراف أعم من ذلك ، لأنه مجاوزة الحد ، سواء أكان في الأموال أم في غيرها ، كما يستعمل الإسراف في الإفراط في الكلام أو القتل وغيرهما .

وقد فرّق ابن عابدين بين الإسراف والتبذير من جهة أخرى ، فقال : «التبذير يستعمل في المشهور بمعنى الإسراف ، والتحقيق أن بينهما فرقاً وهو أن الإسراف : صرف الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي ، والتبذير : صرف الشيء فيما لا ينبغي»[٩] .

ومثله ما جاء في «أدب الدنيا والدين» : «التبذير : الجهل بمواقع الحقوق ، والسرف الجهل بمقادير الحقوق»[١٠] .

ويقول الراغب الأصفهاني : «إن التبذير في الحقيقة أقبح من الإسراف لأن بجانبه حقاً مضيعاً ، ولأنه يؤدي بصاحبه إلى أن يظلم غيره ، ولهذا قيل إن المبذر أقبح لأنه جاهل بمقدار المال الذي هو وعليه ، فالإسراف والتبذير بينهما علاقة عموم وخصوص ، تخضع لقاعدة : «إذا اجتمعا اتفقا ، وإذا افترقا اختلفا»[١١] .

أسباب الإسراف والتبذير:

وللإسراف والتبذير أسباب وبواعث توقع فيه ، وتؤدي إليه ، نذكر منها[١٢] :

١ ـ جهل المسرف بتعاليم الدين الذي ينهى عن الإسراف بشتّى صوره ، فلو كان المسرف مطلعاً على القرآن الكريم والسنة النبوية لما اتصف بالإسراف الذي نُهي عنه ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا﴾[١٣] .

فعاقبة المسرف في الدنيا الحسرة والندامة ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُوْلَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوْماً مَحْسُوْراً﴾[١٤] ، وفي الآخرة العقاب الأليم والعذاب الشديد ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ في سَمُوم وحَمِيْم وظِلٍّ مِنْ يَحْمُوم لاَ بَارِد وَلاَ كَرِيْم إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِيْنَ﴾[١٥] .

ومن نتيجة جهل المسرف بتعاليم الدين مجاوزة الحد في تناول المباحات ، فإن هذا من شأنه أن يؤدي إلى السّمنة وضخامة البدن وسيطرة الشهوات ، وبالتالي الكسل والتراخي ، مما يؤدي به إلى الإسراف .

جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله : «إياكم والبطنة في الطعام والشراب ، فإنهما مفسدة للجسد ، مورثة للسقم ، مكسلة عن الصلاة ، وعليكم بالقصد فيهما ، فإنه أصلح للجسد ، وأبعد من

السرف»[١٦] .

٢ ـ النشأة الأولى : فقد يكون السبب في الإسراف إنما هي النشأة الأولى ، أي الحياة الأولى[١٧] ، ذلك أن الفرد قد ينشأ في أسرة حالها الإسراف والبذخ ، فما يكون منه سوى الاقتداء والتأسي .

ولعلنا بهذا ندرك شيئاً من أسرار دعوة الإسلام وتأكيده على ضرورة اتصاف الزوجين والتزامهما بشرع الله وهديه ، قال تعالى : ﴿وَانْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِيْنَ مِن عِبَادِكُمْ وإِمَائِكُم﴾[١٨] .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أنّ النبي ﷺ قال : «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[١٩] .

٣ ـ الغفلة عن طبيعة الحياة الدنيا وما ينبغي أن تكون .

وقد يكون السبب في الإسراف إنما هي الغفلة عن طبيعة الحياة الدنيا وما ينبغي أن تكون ، ذلك أن طبيعة الحياة الدنيا أنها لا تثبت ولا تستقر على حال واحدة . والواجب يقتضي أن نضع النعمة في موضعها ، وندّخر ما يفيض عن حاجتنا الضرورية من مال وصحة إلى وقت آخر .

٤ ـ السعة بعد الضيق : وقد يكون الإسراف سببه السّعة بعد الضيق ، أو اليسر بعد العسر ، ذلك أن كثيراً من الناس قد يعيشون في ضيق أو حرمان أو شدة أو عسر ، فإذا هم صابرون محتسبون ، وقد يحدث أن تتبدل الأحوال فتكون السّعة بعد الضيق ، أو اليُسْر بعد العُسْر ، وحينئذ يصعب على هذا الصنف من الناس التوسط أو الاعتدال فينقلب على النقيض تماماً ، فيكون الإسراف والتبذير .

٥ ـ صحبة المسرفين : وقد يكون السبب في الإسراف إنما هي صحبة المسرفين ومخالطتهم ، ذلك أن الإنسان غالباً ما يتخلق بأخلاق صاحبه وخليله ، إذا أن المرء كما قال ﷺ : «على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل»[٢٠] .

٦ ـ حب الظهور والتباهي[٢١] : وقد يكون الإسراف سببه حب الشهرة والتباهي أمام الناس رياءً وسمعة ، والتعالي عليهم ، فيظهر لهم أنه سخي وجواد ، فينال ثناءهم ومدحهم ، لذا ينفق أمواله في كل حين وبأي حال ، ولا يهمه أنه أضاع أمواله وارتكب ما حرّم الله .

٧ ـ المحاكاة والتقليد : وقد يكون سبب

الإسراف محاكاة غيره وتقليدهم حتى لا يوصف بالبخل ؛ فينفق أمواله كيفما كان من غير تبصر أو نظر في العاقبة التي سينتهي إليها[٢٢] .

٨ ـ الغفلة عن الآثار المترتبة على الإسراف والتبذير : وقد يكون السبب في الإسراف والتبذير إنما هو الغفلة عن الآثار المترتبة عليهما ، ذلك أن للإسراف آثاراً ضارّة ، وللتبذير عواقب مهلكة ، ولقد عرف من طبيعة الإنسان أنه غالباً ما يفعل الشيء أو يتركه ، إذا كان على ذكر من آثاره وعواقبه ، أما إذا غفل عن هذه الآثار ، فإن سلوكه يختل ، وقد تبين من خلال دراسة ميدانية [٢٣] عن المشكلات الاقتصادية التي تواجه الشباب أن معظم التعبيرات الحرة من أفراد عينة البحث كانت تعبّر عن التبذير والإسراف في غير مكانه بنسبة ٢,٨٪ ومن نماذج تعبيراتهم الحرة : «إنني مبذر أذهب إلى المحل وأنا لا أحدد ما سأشتري» ، «عدم التوازن في النفقات وعدم تنظيم الصرف» ، «أحياناً أضع مالاً في غير مكانه الصحيح» ، «عدم قدرتي على حفظ نفسي من صرف المال» ، هذه التعبيرات تبرز حاجة الشباب خاصة إلى المنهج الإسلامي في معالجة ظاهرة الإسراف والتبذير وإنفاق المال في كل ما هو شرعي وغير ضار .

نماذج من الإسراف والتبذير:

يذكر الإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله صوراً من الإسراف فيقول : «من الإسراف الأكل فوق الشبع ، ومن الإسراف الاستكثار من المباحات والألوان ، ومن الإسراف أن يضع على المائدة من ألوان الطعام فوق ما يحتاج إليه للأكل ، ومن الإسراف أن يأكل وسط الخبز ويدع حواشيه ، أو يأكل ما انتفخ من الخبز كما يفعله بعض الجهال يزعمون أن ذلك ألذّ ، ومن الإسراف التمسح بالخبز عند الفراغ من الطعام من غير أن يأكل ما يتمسح به ، ومن الإسراف إذا سقط من يده لقمة أن يتركها . . ثم يقول رحمه الله : وأمر اللباس نظير الأكل في جميع ما ذكرناه»[٢٤] .

ويذكر أبو الحسن الماوردي رحمه الله نماذج من التبذير فيقول : «من التبذير أن ينفق ماله فيما لا يجدي عليه نفعاً في دنياه ، ولا يكسبه أجراً في أخراه ، بل يكسبه في دنياه ذمّاً ، ويحمل إلى آخرته إثماً ، كإنفاقه في المحرمات ، وشرب الخمر وإتيان الفواحش وإعطائه السفهاء من

المغنّين والمُلْهين والمساخر والمضحكين ، ومن التبذير أن يشغل المال بفضول الدور التي لا يحتاج إليها وعساه لا يسكنها أو يبنيها لأعدائه ولخراب الدهر الذي هو قاتله وسالبه ، ومن التبذير أن يجعل المال في الفُرُش الوثيرة والأواني الكثيرة الفضية والذهبية التي تقل أيامه ولا تتسع للارتفاق بها . .»[٢٥] .

ثم يقول : «وكل ما أنفقه الإنسان مما يكسبه عند الله أجراً ويرفع له إليه منزلة ، أو يكسب عند العقلاء وأهل التمييز حمداً فهو جود وليس بتبذير وإن عَظُمَ وكَثُرَ . وكل ما أنفقه في معصية الله التي تكسبه عند الله إثماً وعند العقلاء ذماً فهو تبذير وإن قلّ ونزر»[٢٦] .

وليس واقع العالم الإسلامي ببعيد عن هذه النماذج وتلك الصور[٢٧] ، ونذكر فيما يلي نماذج أخرى من التبذير والتبديد ، وأشكالاً من الإسراف والسفه ، وألواناً من الهدر والضياع ، نتيجة السلوك الاستهلاكي غير الرشيد في واقع العالم الإسلامي ، من ذلك[٢٨] :

١ ـ الخمور والمخدرات والدخان : هذه صنوف استهلاكية ضارة من شأن الإنفاق عليها أن يستنفذ جانباً من القوة الشرائية العامة ، هذا الجانب يعد ضياعاً ، بمعنى أنه كان سيصرف على الضروريات لو لم يصرف عليها . ونجد العالم الإسلامي يستهلك مواد مخدّرة بمئات الملايين من الدولارات[٢٩] ، وقد أوضحت الدراسات التي شاركت فيها منظمة الصحة العالمية ؛ أنه في الوقت الذي بدأ فيه التدخين يقل في بعض أجزاء العالم بفضل زيادة الوعي الصحي في هذه البلدان ، فإنه من المؤسف تعاطي التبغ مثلاً ازداد في بلدان العالم الإسلامي ، وبلغت نسبة الزيادة في آسيا ٣٠٪ ، أما في إفريقيا فقد زادت نسبة تعاطي التبغ بدرجة كبيرة بلغت ١٧٠٪[٣٠] .

وفي دراسة أخرى أعدّها أحد الباحثين أوضح فيها أن حجم الأموال التي تنفق على عمليات الاتجار بالمخدرات في الوطن العربي تجاوز مبلغ ٥٠ مليار دولار سنوياً[٣١] .

٢ ـ الإفراط في الطعام : إن الإنسان إذا أكثر من الطعام ، لم يستطع له هضماً ، حيث يصاب بالتخمة وعُسر الهضم ، وقد يحدث أن تصاب المعدة بالاتساع والتمدد نتيجة الإفراط في تناول الطعام فيفقد المرء شهيته للأكل وإن تناول طعاماً لم

يستطع له هضماً ، فقد يصاب نتيجة لذلك بالإسهال أو الإمساك ، كما أن الإسراف في الطعام يؤدي إلى البدانة ، ومن ثم يتعرض الإنسان لأمراض القلب وارتفاع الضغط وأمراض الكلى والسكر .

ولا تقتصر مشكلة الإسراف في الطعام على استهلاكه ، بل تمتد لتشمل بعض السلوكيات المرتبطة به ، وفي هذا الصدد تشير بعض الدراسات التي أجريت في الكويت أن ما يُلقى ويتلف من مواد غذائية ويوضع في صناديق القمامة كبير إلى الحد الذي قد تبلغ نسبته في بعض الحالات ٤٥٪ من حجم القمامة . وفي مدينة الرياض أظهرت دراسة أعدتها أمانة مدينة الرياض عن نفايات المدينة أن كمية النفايات اليومية لكل فرد من نفايات المواد الغذائية تبلغ ١٠٦٠ جراماً ، والملاحظ في دول الخليج العربي أن كمية المواد الغذائية التي تلقى في القمامة كبيرة جداً بالمقارنة مع غيرها من دول العالم [٣٢] .

٣ ـ الإعلان والعادات الشرائية الخاطئة : من أهم مظاهر الضياع في الاستهلاك ، الخسارة الاقتصادية الناجمة عن الجهل والخرافة في شراء الضروريات . فالعادات الشرائية تميل لأن تكون ثابتة مهما كانت خاطئة ، وغالباً ما يقوم استهلاك الفرد على أساس عشوائي مرتجل لا على أساس رشيد ، إذ هو يستند على عادات شرائية غالباً ما تكون خاطئة ، ويستمر الفرد في أدائها ، لأنه وجدها هكذا أو بدافع التقليد لغيره .

ومن أوضح الأمثلة للعادات الشرائية الخاطئة : أن الناس يشترون التفاح للونه الأحمر وليس لقيمته الغذائية ، كما يفضّلون الخبز الأبيض والأرز المقشور على الخبز الأسمر والأرز غير المقشور ، وهما الأفضل من الوجهة الغذائية . فإذا أمكننا بأية طريقة تعليم المستهلك الأصناف التي تعطي قيمة غذائية قصوى أقل نفقة لاقتصدنا الكثير من العمل الإنتاجي ، وهذا ما تناوله بالتفصيل هنري هاراب [٣٣] في كتابه «تعليم المستهلك» .

ويعد الإعلان مسئولاً إلى حد كبير عن تكوين مثل هذه العادات الشرائية الخاطئة ، فقد يعمد المعلنون إلى تشكيك الناس في سلع قديمة أو سلع جديدة في حوزتهم لم تبل أو تستنفذ بعد ، لينصرفوا عنها إلى شراء سلع جديدة ، وهذا أيضاً يمثل ضياعاً في الموارد الاستهلاكية .

ومن خلال الدراسات والتحقيقات[٣٤] التي أجريت تبيّن أن الإعلانات التجارية تمارس دوراً كبيراً في خداع المستهلك ، وفي دفعه إلى المزيد من الشراء لأشياء كثيرة لا حاجة به إليها فعلاً ، وهذا هو الإسراف بعينه ، بل وتمارس الإعلانات دوراً في تقلب البواعث الوجدانية كالتقاليد وحب التميز والزهو والطموح والدهشة وما إلى ذلك من خلجات النفس التي تسعى الإعلانات لإثارتها في الإنسان .

٤ ـ جنون الأزياء وتعدد أنماط المنتجات : إن تغيرات الأزياء والنماذج المتعددة إن هي إلا تقلبات مفتعلة لحمل المستهلكين على الشراء ، مع أنها لا تعكس رغباتهم ، وقد تتنافر مع أذواقهم إلى حد كبير ، وهم إذ يقبلون عليها فإنما يفعلون ذلك تحت تأثير الحملات الإعلانية الواسعة النطاق التي تولّد في نفوسهم شعوراً بأنهم يكونون متأخرين إذا لم يقبلوا عليها ، وتبدو هذه الظاهرة بوضوح في أزياء النساء ، كما امتدت أيضاً إلى السيارات وأجهزة المذياع والتلفزيون والأثاث وبعض السلع التموينية[٣٥] ؛ إذ أصبح الأغنياء يغيّرون هذه الأشياء سنوياً ليتمشوا مع الطراز الحديث .

والمستهلك قد يترك بعض السلع قبل أن يحصل على الفائدة المرجوة منها ، أو قبل أن تصبح غير صالحة للاستعمال ، وهذا ما يعبر عنه اقتصادياً بنقص في جملة الإشباع العام ، وهو من أبرز نواحي الضياع في النظام الاقتصادي .

٥ ـ الإنفاق العسكري : وهو من أهم مظاهر الضياع في الموارد الاستهلاكية ؛ وذلك لاستنفاذه لجانب كبير من ميزانيات الدول التي كانت ستعود على الجميع بالنفع الكثير ، لو أنفق على المشروعات والخدمات العامة لرفع مستوى المعيشة .

وإن كان هذا الإنفاق العسكري قد يتمخّض عنه اكتشافُ فنٍّ إنتاجيٍّ يفيد في القطاع المدني خاصة في الدول النامية .

غير أن من السمات الرئيسة للدول النامية ومنها الدول الإسلامية وجود العديد من بنود الإنفاق الحكومي التي تتسم بالضخامة والتبذير والضياع ، ولا تتحقق التنمية إلا بضغط بنود الاستهلاك الحكومي التي تتسم

بالإسراف والتبذير[٣٦] .

والجدول التالي يبين حجم الإنفاق العسكري وأثره على محاولات التعليم والصحة وغيرها من الخدمات :

حجم الإنفاق العسكري في الوطن العربي(*)

الإنفاق العسكري ٪ إلى الناتج القومي		الانفاق العسكري ٪ إلى الصحة والتعليم	واردات أسلحة بالمليون دولار	صافي المساعدات للتنمية ٪ إلى الانفاق العسكري	أفراد القوات ٪ المسلحة إلى المعلمين
١٩٦٠	١٩٨٦	١٩٨٦	١٩٨٧	١٩٨٦	١٩٨٦
٥,٤	١٢	١٧٧	١٢,٢٥	١٠٨	١٩٨

(*) مصدر الجدول: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ـ تقرير عن التنمية البشرية في العالم ١٩٩٠م، نيويورك، جدول ١٨.

يبيّن الجدول أن الإنفاق العسكري منسوباً إلى الناتج القومي قد ارتفع من ٥,٤٪ عام ١٩٦٠م إلى ١٢٪ عام ١٩٨٦م ، وأنه يعد من أعلى نسب الإنفاق بمعايير أخرى كالإنفاق على الصحة والتعليم أو الخدمات الاجتماعية الأخرى ، وأن أفراد القوات المسلحة يبلغون ضعف عدد المعلمين تقريباً . ومن ثم فإن تخفيض الإنفاق العسكري أو ترشيده أو تكامله بين الأقطار العربية سوف يتيح موارد إضافية لمجالات التنمية البشرية ومن أهمها قطاع التربية والتعليم .

الآثار المترتبة على الإسراف والتبذير:

لا شك أن هناك العديد من النتائج والآثار السيئة المترتبة على شيوع ظاهرة الإسراف والتبذير ، ومن ذلك[٣٧] :

١ ـ الإسراف وخطره على العقيدة : الإسراف يرفع مستوى معيشة الفرد والأسرة رفعاً كاذباً يفوق الدخل الحقيقي المستمر ، ثم لا تكاد المكاسب الجانبية تزول ولا يبقى سوى الدخل الحقيقي ، حتى يلجأ كثير من المسرفين إلى طرق غير شريفة لاستمرار التدفق النقدي

وتحقيق المستوى العالي من الإنفاق الذي اعتادوه فتمتد اليد بشكل أو بآخر فيقعوا تحت وطأة الكسب الحرام ، ذلك أن المسرف قد تضيق به أو تنتهي به موارده ، فيضطر تلبية وحفاظاً على حياة الترف والنعيم التي ألفها إلى الوقوع في الكسب الحرام ، وقد جاء في الحديث : «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به»[٣٨] .

٢ ـ الإسراف نوع من التسرع والتهور : الإسراف نوع من التهور والتسرع وعدم التبصر بعواقب الأمور ، وقد يكون دليلاً على عدم الحكمة في تحمل المسئولية ، وكل ذلك يؤدي إلى وخيم العواقب وسيىء النتائج ؛ فهو يقتل حيوية الأمة ، ويودي بها إلى البوار والفساد ، ويملأ القلوب حقداً وضغينة ، ويقضي على حياة الأمن والاستقرار كما أن فيه كسراً لنفوس الفقراء ، وبطراً لأهل الغنى[٣٩] .

٣ ـ الإسراف ودواعي الشر والإثم : فالسرف داع إلى أنواع كثيرة من الشر ؛ لأنه يحرّك الجوارح إلى المعاصي ويشغلها عن الطاعات ، كما أنه يحرك الغرائز الساكنة أو الكامنة في هذه النفس ، وحينئذ لا يؤمن على الفرد من الوقوع في الإثم والمعصية ؛ فالشيطان أعظم ما يتحكم في الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : «ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطن ، بحسب ابن آدم لُقَيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنَفَسه»[٤٠] .

٤ ـ الإسراف وتأثيره على البيئة : يعتبر الإسراف سبباً رئيسياً من أسباب تدهور البيئة واستنزاف مواردها . وهو وإن كان متعدد الصور والأساليب ، إلا أنه يؤدي بشكل عام إلى نتيجة واحدة : إهلاك الحرث والنسل ، وتدمير التوازن البيئي[٤١] .

٥ ـ الترف والدعوة إلى النعومة والليونة : يؤدي الترف إلى النعومة والليونة ، التي تدفع الناس إلى الرذائل ، وتقعد بهم عن الجهاد والتضحية ، وفي ذلك أعظم الخطر على الأمة .

٦ ـ التبذير والهوى : التبذير مما يأمر به الهوى ، وينهى عنه العقل ، وأحسن الأدب في هذا تأديب الحق سبحانه حين قال : ﴿وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيْراً﴾[٤٢] .

فالإنسان قد يعطي رزق شهر في يوم ، فإذا بذّر فيه بقي شهراً يعاني البلاء ، وإذا

دبّر منه عاش شهراً طيب النفس .

٧ ـ عدم الرعاية والاهتمام بالآخرين : ذلك أن الإنسان لا يراعي الآخرين ولا يهتم بهم غالباً ، إلا إذا أضناه التعب وغصته الحاجة ، كما أُثر عن يوسف عليه السلام لما سُئل : لا نراك تشبع أبداً؟ قال : أخاف إن شبعت أن أنسى الجياع[٤٣] ، والمسرف مغمور بالنعمة من كل جانب ، فأنّى له أن يفكر أو يهتم بالآخرين .

● الهوامش :

(١) ينظر : ابن منظور «لسان العرب»(٤٨/١١) ، والفيروزآبادي «القاموس المحيط» (١٥٦/٤)٠

(٢) ينظر : القليوبي «حاشية منهاج الطالبين» دار إحياء الكتب العربية ، عيسى الحلبي ، د . ت . (٢٤٨/٣) ، وابن عابدين «حاشية رد المحتار» (٤٨٤/٥) ، والجرجاني «التعريفات» (ص ٣٨) .

(٣) سورة الأنعام : ١٤١

(٤) الراغب الأصفهاني «المفردات في غريب القرآن» (ص ٢٣٠) .

(٥) القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٨٧م ، (٧٢/١٣) .

(٦) سورة الإسراء : ٢٦ .

(٧) ينظر : ابن منظور «لسان العرب» (٥٠/٤) .

(٨) ينظر : النووي «تحرير ألفاظ التنبيه» ، تحقيق : عبد الغني الدقر ، دار القلم ، دمشق ، ١٤٠٨هـ ، (ص ٢٠٠) .

(٩) ابن عابدين «حاشية رد المحتار» (٤٨٤/٥) .

(١٠) أبو الحسن الماوردي «أدب الدنيا والدين» ، تحقيق مصطفى السقا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ ، (ص ١٨٧) .

(١١) الراغب الأصفهاني «الذريعة إلى مكارم الشريعة» ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٣٩٣هـ (ص ٢١٦) .

(١٢)ينظر : السيد محمد نوح «الإسراف أسبابه وآثاره وعلاجه» ، مجلة الاقتصاد الإسلامي ، بنك دبي الإسلامي ، دبي ، ع ٥٠ ، محرم ١٤٠٦ هـ ، (ص ١٧ ـ ٢٥) ، ورفعت أحمد الغامدي «أسباب الإسراف ومضاره وموقف الإسلام منه» مجلة الرابطة ، مكة ، ع ٢٨١ ، ذو الحجة ١٤٠٨هـ ، (ص ٣٨) .

(١٣) سورة الأعراف : ٣١ .

(١٤) سورة الإسراء : ٢٩ .

(١٥) سورة الواقعة : ٤١ ـ ٤٥ .

(١٦)ينظر : ابن مفلح المقدسي «الآداب الشرعية والمنح المرعية» ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، ١٣٩١ هـ ، (٢٠١/٣) .

(١٧) جريدة الجزيرة «أين التربية الاقتصادية؟ لا تعوّدوهم على الإسراف» ، حوار ، ع ٧٠٤٦ ، ٩/ ٧/ ١٤١٢هـ ، (ص ٩) .

(١٨) سورة النور : ٣٢ .

(١٩)أخرجه البخاري في «صحيحه» ، كتاب النكاح . ينظر البخاري «صحيح البخاري» ، المكتبة الإسلامية ، تركيا ، توزيع مكتبة العلم ، جدة ، ١٩٨١م ، (٩/٧) .

(٢٠) أخرجه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن غريب ، وأحمد والحاكم وقال : صحيح ، ووافقه الذهبي ، وحسّنه الألباني ، ينظر : الألباني «صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير» (رقم ٣٥٣٩) .

(٢١) جريدة المدينة «الإسراف والتبذير في المناسبات» ، تحقيق ، ع ٨٩٧٩ ، ١٤١٢/٦/٩هـ . (ص ٢) .

(٢٢) مجلة الدعوة «الإسراف والتبذير من المسئول» ، تحقيق ، ع ١٢٥٠ ، ١٤١٠/١٢/٢٧ هـ . (ص ٢٠ ـ ٢٣) .

(٢٣) وليد شلاش شبير «مشكلات الشباب» ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٩هـ ، (ص ٢٨٠) .

(٢٤) محمد بن الحسن الشيباني «الكسب» (ص ٧٩ ـ ٨٣) .

(٢٥) أبو الحسن الماوردي «نصيحة الملوك» ، تحقيق خضر محمد خضر ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٤٠٣ هـ ، (ص ٣٦) .

(٢٦) أبو الحسن الماوردي «نصيحة الملوك» (ص ٣٦) .

(٢٧) ينظر : مجلة المقتطف «تبذير الشرق وتدبير الغرب» ، بيروت ، ١٩٧٦م ، ع٥ ، (ص ١١٠ ـ ١١٢) ، وع٦ ، (ص ١٢٨ ، ١٣١) . و مجلة الدعوة «المبذرون» ،

تحقيق ، ع ١٠٣٠ ، ١٤٠٦/٦/١٥هـ ، (ص ١٤ - ٢٠) . ومجلة لواء الإسلام «الإسراف في الأفراح والمآتم» ، ع ١٠ ، جمادى الآخرة ١٣٧٧هـ ، (ص ٦٥٢ - ٦٥٣) .

(٢٨) ينظر : عبد المغني سعيد «نحو الرشد الاقتصادي» (ص ١٧٤ - ١٨٢) . ود . نادر فرجاني «هدر الإمكانية» ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ١٩٨٥م ، (ص ٤٩ - ٧٩) ، ومحمد عبد القادر الفقي «الإسراف وتأثيره على البيئة» ، مجلة منار الإسلام ، الإمارات ع ٨ شعبان ١٤٠٩هـ (ص٣٨-٦٥)

(٢٩) ينظر : لؤلؤة صالح آل علي «الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة» ، دار ابن القيم ، الدمام ١٤٠٩هـ ، (ص ٤٨٩ ، ٥٤١ ، ٥٩١) ، وجريدة الندوة «المخدرات الخطر القاتل : العالم العربي يستهلك مواد مخدرة بمئات الملايين من الدولارات» ، تحقيق ، ع ٩١٦٤ ، ١٤٠٩/٨/١٦هـ ، (ص ١١) .

(٣٠) مجلة النور «الاستعمار السجائري» ، تحقيق ، الكويت ، ع ٧٢ ، صفر ١٤١٠هـ ، (ص ٦ - ١٠) .

(٣١) مجلة الاقتصاد الإسلامي «٥٠ مليار دولار سنوياً تنفق في الوطن العربي على المخدرات» ، دبي ، ع ١٣١ ، شوال ١٤١٢هـ ، (ص ١٨) .

(٣٢) محمد عبد القادر الفقي «الإسراف وتأثيره على البيئة» (ص ٥٥ - ٥٦) .

(٣٣) H. Harrap, "The Education of The Consumer", Mc Graw Hill, New York, 1950, p 60 - 85.

(٣٤) ينظر : د . نعيم أبو جمعة «الخداع الإعلاني وأثره على المستهلك في دولة الكويت» ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية ، جامعة الكويت ، الكويت ، ع ٥٠ ، شعبان ١٤٠٧ هـ ، (ص ١٥ - ٧٣) . وجريدة اليوم «الإعلانات التجارية والإسراف» ، تحقيق ، ع ٦٨٣٢ ، ١٤١٢/٨/٢٥هـ ، (ص ١١) .

(٣٥) ينظر : ياسر عبد الحميد الخطيب «سيكولوجية المستهلك السعودي وتصرفاته الشرائية وأثر ذلك على السياسات التسويقية في قطاع السيارات» ، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم إدارة الأعمال ، كلية التجارة ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٤٠٢ هـ ، (ص ٣١٠ - ٣٤٠) ، غير منشورة . ود . صديق محمد عفيفي «تأثير اعتبارات الموضة على سلوك المستهلك» دراسة ميدانية في مدينة القاهرة . مجلة المحاسبة والإدارة والتأمين ، كلية التجارة ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، ع٢١ ، ١٩٧٤م ، (ص ١٨٤ - ١٩٤) .

(٣٦) ينظر : د . زغلول النجار «قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر ، كتاب الأمة (٢٠) ، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، قطر ، ١٤٠٩هـ ، (ص ٦٦) . وسيد خليل «مواكب الإسراف الحكومي مستمرة» تحقيق ، مجلة لواء الإسلام ، القاهرة ، ع ٨ ، ربيع الآخر ١٤١٠ هـ ، (ص ١٨ - ٢١) . ود . محمد شوقي الفنجري «الإنفاق العسكري وتجارة الموت» ، جريدة الشرق الأوسط ، الرياض ع ٣٠٨٧ ، ١٤٠٧/٩/١٥هـ ، (ص ١٤) .

(٣٧) السيد محمد نوح «الإسراف أسبابه وآثاره وعلاجه» (ص ١٧ - ٢٧) . وعبد الله الجعيثن «الإسراف وخطره على العقيدة» ، مجلة الدعوة ، الرياض ، ع ١١٢٨ ، ١٤٠٨/٦/٢٠ ، (ص ٢٤) . ومجلة البيان «عواقب التبذير» ، لندن ، ع ١٣ ، ذو الحجة ١٤٠٨هـ ، (ص ٤ - ٧) .

(٣٨) أخرجه البخاري في «صحيحه» ، كتاب العلم (٣٧/١) .

(٣٩) د . حمد الجنيدل «نظرية التملك في الإسلام» مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣هـ ، (ص٨١) .

(٤٠) رواه الترمذي في «الزهد» ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل ، رقم ٢٣٨١ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، ورواه أيضاً ابن حبّان وابن ماجه والحاكم وصححه الذهبي . ينظر : ابن الأثير «جامع الأصول في أحاديث الرسول» ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة الحلواني بيروت ١٣٩١هـ ، (٤١٠/٧)

(٤١) محمد عبد القادر الفقي «الإسراف وتأثيره على البيئة» (ص ٥١) .

(٤٢) سورة الإسراء : ٢٦ .

(٤٣) أورد هذا الأثر : محمد قره علي «سنابل الزمن» ، مؤسسة نوفل ، بيروت ١٩٨٦م ، (ص ٢٦٤) .

قلت : أخرجه الدينوري في «المجالسة» (رقم ١٩٢) بسند واه جدًا ، وأورده ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢٠٤/٢) وغيره ، كما بيّنه الأخ مشهور محقق «المجالسة» (الأصالة) .

* * *

بقلم : الشيخ علي بن حسن الحلبي

طبعة (أبو صهيب الكرمي) من «صحيح البخاري»

استرعى انتباهي ـ قبلَ شهورٍ قليلة ـ نسخةٌ أنيقةٌ ، جميلةٌ ـ المظهر ـ من «صحيح البخاري» ؛ مطبوعةٌ في مجلّد واحد فاشتريتُها ، وقلّبتُ صفحاتها ، ونظرتُ ما فيها ؛ فرأيتُ أُموراً مِن الواجبِ التنبيهُ عليها ، والتحذير منها ، فأقول :

ناشرُ هذه الطبعة بيتُ الأفكارِ الدوليّة ، وكُتب على غِلافها : (**اعتنى به : أبو صُهَيْب الكرمي**) ، وقد قال هذا (الكرمي) ـ من ضمن ما قال عن صَنيعه في نسخته ـ : (**مصحَّحَةُ الأخطاءِ التي وقعَ فيها المُحققون**) فدفعني ذلك حثيثاً ـ إلى النظر (!) شيئاً ما (!) فيها ؛ لمعرفة حقيقتها ، وكَشف خوافيها!! فرأيت عجباً غريباً ، وشاهدتُ أمراً مُريباً!! من **السّقط ، والتحريف ، والخَلَل ، والتَّزيُّد** ، و . . . و . . . و . . . في بِضع عشَرات ـ فقط ـ من الصَّفحات التي نظرْتُها ، وقَلَّبْتها ، **ومن غَير استقصاء ، ولا تَتَبُّع!!**

ولولا أنّي على معرفةٍ (!) بأبي صُهَيْب الكَرميّ ـ هذا ـ ودعاويه (المتشبِّعة) ـ من قبلُ! ـ لَما صنعتُ ذلك ، ولأعرَضْتُ عمّا هُنالك ؛ **فكلٌّ يخطىءُ ، وكلٌّ يغلَطُ!** لكنّ الأمر مع (هذا) مختلف!! لما هو عليه (حقيقةً) من معرفة ـ **ولا أقول : عِلْم!** ـ وفِكرٍ ، وتصورٍ[1]!! فضلاً عن وجوب ردّ تغريره بالناس ، **ولُزوم** دفع اغترارهم بنُسختِه وكلامه!!

ولمن لا يعرفُ الكرميَّ ـ هذا ـ أقولُ : هو (**حسان عبد المنان**) **المُنْكَشف حاله عند أهل العلم! والمعروف مآله عند طلبة العلم!!** فأرادَ (المُسَيْكين) ـ تحت ضغط (واقعه) (!) وما هو فيه ـ أن (يغيّر) شيئاً من صورته (!) كي (**يستطيع**) أن (**يُمرّر**) ما عنده **تحت غطاء آخر!!!** حتى لو كان ذلك (المَغَيَّر) **اسمه وشهرته!!** فلا حول ولا قوّة إلا بالله ؛ مستعيذاً به ـ جلّ في علاه ـ ، من كلّ من أرداه هواه .

ولقد نقدَ هذا (**الجَبالي! الطيبي! المقدسي! الكرمي!**) ـ بل نقضه ـ شيخُنا

العلامة الألبانيّ ـ حفظه الله ، وقوّاه ، وعافاه ـ في مواضعَ متعدّدة من كتابِه ـ «سلسلة الأحاديث الصحيحة» ـ مجلّدات : ١ ، ٢ ، ٦ ـ الطبعات الجديدة ـ ؛ من ذلك ما وصفه في (٧٨١/٢) ـ منها ـ بأنه (**الجاني على نفسه ، وعلى سنّة نبيّه ﷺ**)!! ، ووصفه في (٩٦٩/٦ و١٣٥٦) ـ أيضاً ـ بـ : (**الهَدّام**)!! وفي (٩٣٠/٢/١) بـ (**مُضعِّف الأحاديث الصحيحة**)!! ووصفه في كتابه «تحريم آلات الطرب» (ص ٣٢) بـ (**المعتدي على الأحاديث الصحيحة**) ، وقال في (٩٤٦/٢/١) ـ من «السلسلة» ـ : (**فالخلاف بيننا وبينَه أصوليّ جذريّ . . . شأنه في ذلك شأن كل الفرق الضّالة قديماً وحديثاً . .**)!! وقد ذكره في (٢٧/١/١) ـ بعد السقاف المبتدع ـ قائلاً : (﴿**تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾)[٢]!! ، ووصفه في (٩٤١/٢/١) بأنّه : (**مغرمٌ بالمخالفة والمشاكسة**)!!

وفي كتاب : «تحريم آلات الطرب» ـ أيضاً ـ رُدود أخرى عليه ؛ منها قوله (ص ٣١) ـ بعد أن وصفه بـ (**الخروج على المحدثين والفقهاء**)! قال : (**الذي اشتطّ في تتبُّع الأحاديث الصحيحة وتضعيفها ، مخالفاً لحُفّاظ الحديث ونُقّاده ، مُتظاهراً أنّه مجتهدٌ في ذلك غيرُ مُقلّد! مموِّها على القُرّاء بأمورٍ مُخالفة للواقع**!! وقد تيسّر لي الردّ عليه في بعض ما ضعّف ، وبيَّنت أنه متسلّق على هذا العلم ، يريد البروز والظهور ، ويَصدُق عليه قول الحافظ الذهبي : «وكيف يطير ولمّا يُرَيِّش؟!» ومن تلك الأحاديث حديث البخاري [في تحريم المعازف] ، وقد تفنّن في تضعيفه ، وجاء بما لم تأتِ به الأوائل! حتى ولا ابن حزم!! وقد بيّنت جهله في ذلك ، وإنكارَه ، وقلبه للحقائق . . .) . . .

. . . فإلى ملاحظاتي العلميّة (السريعة) عليه ؛ عسى أن يعتَبِر ويتّعِظ ؛ ليعلم ـ ويوقن ـ أنّ الأساليب (الحلزونيّة) الملتفة لا تُجدي ولا تصلُحُ ـ ولا سيّما في العلم ـ ، وأن العلم فضّاح لغير أهله ، وأنّ الصراط المستقيم هو أعدَل الطرق ، وأيسرها ، وأقربُها إلى الرّشاد والسّداد ؛ لعلّه يكون له ـ من نفسه ـ معرفة بحقيقة نفسِه ، واللّه الهادي :

ـ زاد في الصفحة الأولى ـ وهي برقم (٢١) في العمود الثاني ، عند الحديث (٣) ـ حرف (لا) بين قوله : «قبل أن ينْزِع

إلى أهلِه» ، وقوله : «ويتزوَّد لذلك» ؛ فصارت الجملة هكذا : «لا ويتزوَّد لذلك»!!

ـ سقط من (ص ٤٥) ـ العمود الأول ـ (ح ٩٩) في آخره عبارة بين قوله : «لِما» ، وقوله : «مَن قال» ، وهي : «رأيتُ من حرصِك على الحديث ؛ أسعدُ النّاس بشفاعتي يومَ القيامة»! فصارت العبارة مع السَّقط ـ هكذا ـ : «لما من قال : لا إله إلا الله»!!

ـ سقط من (ص ٧٢) ـ بعد حديث (٢٥٣) ـ قول البخاري : (وقال يزيد بن هارون ، وبُهز ، والجُدِّيّ : عن شُعبة : قدرَ صاع)!

ـ في (ص ٨٢) (ح ٣١٥) زادَ بين قوله : (أن امرأة من الأنصار قالت للنبيّ ﷺ) ، وقوله : (كيف أغتسل) ؛ كلمة (لا) ، فصارت العبارة ـ هكذا ـ : (قالت للنبي ﷺ : لا كيف أغتسل)!!

ـ (ص ٨٩) (ح ٣٤٨) سقطت بعد

ولولا أنّي على معرفةٍ (!) بأبي صُهَيْب الكَرميّ ـ هذا ـ ودعاويه (المتشبِّعة) ـ من قبلُ! ـ لَما صنعتُ ذلك، ولأعرَضْتُ عمّا هُنالك؛ فكلٌّ يخطىءُ، وكلٌّ يغلَطُ! لكنّ الأمر مع (هذا) مختلف!! لما هو عليه (حقيقةً) من معرفة ـ ولا أقول: علْم! ـ وفكرٍ، وتصوّر!! فضلاً عن وجوب ردّ تغريره بالناس، ولُزوم دفع اغترارهم بنُسخته وكلامه!!

ـ سقطت جملة الصلاة على النّبيّ ﷺ من سند حديث برقم (١٦٢) في الصفحة (٥٦) .

ـ سقطت من (ص ٦٣) ، (ح ٢٠٥) من آخر الحديث كلمةُ (خُفَّيْه)!

قوله : (رأى رجلاً مُعتزلاً لم يُصلِّ) عبارةُ : (في القوم ، فقال : يا فلان! ما منعك أن تُصَلِّي)!!

ـ في الصفحة نفسها ، والحديث نفسه زاد بعد قوله : (في القوم) عبارة : (فقال

ﷺ)!!

- (ص ٩٢) (ح ٣٦١) **سقط** قولُهُ : (ما السُّرى يا جابر؟!) من السطر (١ - في العمود الثاني) بعد قوله : (فلما انصرف قال)!!

- (ص ٩٩) (ح ٣٩٩) **سقط** من سند الحديث بين (إسرائيل) ، و (عن البراء بن عازب) قوله : (عن أبي إسحاق)!!

- **حذفَ** حرف (الفاء) من قوله : (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوْعِ الشَّمْس وقَبْلَ غُرُوْبِها) ، وذلك في الصفحة (١٢٨) ، عند الحديث (٥٧٣)! ليتسنّى له وضعُ الجملة بين قوسَي آية (!) فإنه ليس في تلاوة القرآن : (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّك قَبْلَ طُلُوْعِ الشّمْس وقَبْلَ غُرُوْبِها) ، وإنّما التلاوة بغير (فاء) ؛ بل بحرف (الواو) ؛ ولو أنّه جعلها هكذا : (فـ ﴿سَبِّحْ . . .﴾) ؛ لتخلّص من ذا ، ولم يضطرّه ذلك - بعد - إلى الإخلال بالأمانة العلمية!!!

- (ص ١٣٣) ، (ح ٦٠٨) وقعَ **خللٌ** عجيب في العبارة آخر الحديث ؛ فقد جعلها : (حتى يخطُر بين المرء ونفسه يقول : كذا ، لِما اذْكُر كذا ، ارْذُك لَم يَكُن) وهذا عجيب! والصواب : (حتى يخطُر بين المرء ونفسه ؛ يقول : اذكُر كذا ، اذْكُر كذا ، لِما لم يَكُنْ . . .)!!

ثم ضَبط يخطر ؛ بكسر الطاء المهملة ، والصّواب ضمُّها ؛ كما في «مختار الصحاح» - (ص١٤١) ، (ح ٦٦٤) **سقط** من الإسناد قول : (قال) ، بعد قوله : (قال : الأسود)!

- في الصفحة نفسها والحديث نفسه ، **جعل** كلمة (الأسود) مجرورة!!

- (ص ١٤٣) (ح ٦٧٠) **سقط** من السطر الرابع من العمود الأول كلمة (رجل) من قوله : (فقال رجل من آل الجارود)!

- (ص ١٦٥) (ح ٨٠٦) ؛ **وضع** كلمة (حجاب) في قوله : (ليس دونَه سحابٍ) ، مكان كلمة (سحاب) .

- **أضاف** كلمة (عن) بين قوله : (أُمِرَ) ، وقوله : (النّبي) في (ص ١٦٦) ، (ح٨٠٩) .

- **سقطت** عبارة (عن مسروقٍ) من سند (ح ٨١٧) ، (ص ١٦٧)!!

- (ص ١٦٩) ، (ح ٨٢٧) **سقطت** عبارة (بن عبد الله) من قوله : (عن عبد الله بن عبد الله) في سند الحديث!!

- **سقطت** (ص ١٧٢) ، (ح ٨٤٦) من

قوله : «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر» كلمة (بي)!!

- (ص ١٧٤) ، (ح ٨٥٥) سقط من آخره قوله : (وقال أحمد بن صالح) - بعد حديث يونس - : (عن ابن شهاب ، وهو يُثبت قول يونُس)!!

- نَبَّه (ص ١٧٦) إلى أنّ حديثي (٨٧٤ ، ٨٧٥) غير واردين في النسخة اليونينية ، وإنّما زِيْدا من «الفتح»!! مع أن الحديثين مع بابهما واردان في آخر الجزء الأول من المجلد الأول!

- (ص ١٩٢) ، (ح ٩٦٤) جعلَ (سِخابَهُ) مكانَ (سِخابَها)!

- (ص ١٩٣) ، (ح ٩٦٩) أسقَطَ كلمة (العَشْر) من أوّل الحديث!

أقول : هذه هي النسخة (!) مصحّحة الأخطاء التي وقع فيها المحقّقون! فكيف لو لم تكن؟!

. . . وقد سكتُّ - بل أعرضتُ - عن أضعاف أضعاف أمثال هذه الأخطاء ؛ مما غلب على ظَنّي أنه أخطاء مطبعيّة ، لا أغلاط (طَبْعيّة)[٣]!!

* الهوامش :

(١) فهو عقلاني النزعة والتوجّه ؛ ولكن بثوب : حدثنا! وأخبرنا!! ولمعرفة شيء من أدلة ذلك (!) انظر كتابي «برهان الشرع في إثباب المسّ والصرع» (ص ٦ و٧ وغيرها) ، وكتاب «تحريم آلات الطرب» (ص ١٦٦) لشيخنا الألباني .

(٢) ووصفه في كتابه «تحريم آلات الطرب» (ص ٣١) بأنّه : (ظِلّ السقّاف)!!

(٣) وله في تعليقه على كتاب «حجة الوداع» لابن حزم - نشر (بيت الأفكار الدولية) أيضاً - : أغلاطٌ علميّة أخرى - متنوّعة - من الجهل بأسماء الرواة ، وأخطاء العزو ، والأحكام الإسنادية ، وغير ذلك كثيرٌ ؛ مما لا يتّسع هذاالمقام لذكره!!

ولمعرفة شيء من أمثال ذلك - وأشباهه - تُنْظر مقدّمتي على «مفتاح دار السعادة» (١/٤٨ - ٩٩) ؛ ففيها تعقُّبات - كثيرة جداً - على (بعض) تخاريجه وتخاريفه!!

●●●

قال أحمد بن صالح بن أبي معشر:

إذا كنت تغضب من غير ذنب

و تعتِب من غير جرْمٍ عليّا

طلبت رضاك فإن عزّني

عددتُك مَيْتاً وإن كنت حيّا

الحلقة الأولى

بقلم : الشيخ أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

عالم المغرب.. القاضي عياض وكتابه «مشارق الأنوار على صحاح الآثار»

يعد القاضي عياض في طليعة الرعيل الأول من علماء المغرب الذين طار ذكرهم كلّ مطار على اختلاف الأجيال والأعصار، حتى قال قائلهم: «لولا عياض ما ذكر المغرب». وشاع ذلك في كتبهم، ودار على ألسنتهم في مجال التباهي والافتخار.

اسمه ونسبه ومولده:

هو الإمام العلامة الحافظ الأوحد، شيخ الإسلام، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن موسى ابن عمرو، «وقيل: ابن عمرون» بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي.

وترجع نسبته إلي يحصب بن مالك؛ قبيلة من حمير. وسبتة مدينة مشهورة بالمغرب، سكنها جدُّه بعد تحوله من الأندلس إلى فاس، وولد سنة ست وسبعين وأربع مئة (٤٧٦هـ) [1].

نشأته وطلبه للعلم:

نشأ القاضي عياض على عفة وصيانة، مرضيّ الحال، محمود الأقوال والأفعال، موصوفاً بالنبل والفهم والخدمة، طالباً للعلم على كِبَر - فإنه لم يحمل العلم في الحداثة -، حريصاً عليه، مجتهداً فيه، معظماً عند الأشياخ من أهل العلم، كثير المجالسة لهم، والاختلاف إليهم، إلى أن برع زمانه، وساد جملة أقرانه؛ فكان من حفاظ كتاب الله تعالى، مع القراءة الحسنة، والنغمة العذبة، والصوت الجهير، والحظ الوافر من تفسيره وجميع علومه. وكان من أئمة الحديث في وقته، أصوليًا، متكلّماً، فقيهاً، حافظاً للمسائل، عاقلاً للشروط، بصيراً بالأحكام، نحويًا، شاعراً مجيداً، كاتباً بليغاً، خطيباً، حافظاً للغة

والأخبار والتواريخ ، حسن المجلس ، نبيل النادرة ، حلو الدعابة ، صبوراً ، جميل البشرة ، جواداً سمحاً كثير الصدقة ، دؤوباً على العمل ، هيّناً من غير ضعف ، صلباً في الحق ، وبلغ في التفنن في العلوم ما هو مشهور ومعلوم[٢] .

رحلاته:

أخذ العلم عن أشياخ بلده سبتة ، وأول شيء أخذ عن الحافظ أبي علي الغساني إجازةً مجردة ، وكان يمكنه السماع منه ، فإنه لحق في حياته اثنين وعشرين عاماً[٣] .

ورحل القاضي أبو الفضل إلى الأندلس سنة سبع وعشرين وخمس مئة طالباً للعلم ، فأخذ بقرطبة عن القاضي أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين ، وأبي الحسين بن سرّاج ، وغيرهم ، ولم يطل مكثه بقرطبة . وعلى الرّغم من ذلك فإنه تأثّر كثيراً عند خروجه منها ، حتى أنه صوّر حالته وقد أرمدت عيناه من كثرة البكاء ، وأصبحت عظام صدره هواءً ؛ أي : خالية فارغة ، ويريد : أن فؤاده فارق جوانحه وخلا منه صدره ، وبقي عند أهل قرطبة ، وذلك بقوله :

أقول وقد جدّ ارتحالي وغرّدت
حداتي وزُفّت للفراق ركائبي
وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتي
وصارت هواءً من فؤادي ترائبي
ولم يبق إلا وقفةٌ يستحثّها
وداعيَ للأحباب لا للحبائب
رعى الله جيراناً بقرطبة العُلا
وجاد رباها بالعهاد السواكب
وحيّا زماناً بينهم قد ألفته
طليق المحيّا مستلان الجوانب
أإخواننا بالله فيها تذكّروا
مودّة جارٍ أو مودّة صاحب
غدوت بهم من برّهم واحتفالهم
كأنّي في أهلي وبين أقاربي[٤]

وخرج من قرطبة إلى مُرْسية سنة ثمان وخمس مئة طالباً المحدّث أبا عليّ الصَّدفي ؛ فوجده مختفياً بسبب عرض القضاء عليه ، ووجد الرّحالين إليه قد نفدت نفقات بعضهم ، ومنهم من ابتدأ كتاباً لم يتمّه ، فأخذ أكثرهم في الرجوع إلى موطنهم ، وتربّص بعضهم ، ومكث أبو الفضل شهرين لا يقع على خبر سوى الظنّ بكونه هنالك ، وقابل أثناء ذلك بأصوله وكتب منها ما أمكن على يد خاصّةٍ من أهله ، إلى أن وصل كتاب

قاضي الجماعة : أبي محمد بن منصور بحلّ القاضي أبي علي من القضاء ، ووصل كتابه أيضاً إلى القاضي عياض ، معلماً له بذلك ؛ إذ كان يكرم عليه أبو الفضل ، وعلم برحلته إليه ، فخرج أبو علي من اختفائه وجلس للتسميع ، فسمع عليه القاضي عياض كثيراً ولازمه ، وكان له به اختصاص فحصل له سماعٌ كثير في أمدٍ يسير ، ولقي في رحلته هذه جماعة من أعلام الأندلس ، وأجازه أبو علي الجيّاني .وعاد القاضي عياض من رحلاته هذه ، وهو البحر الذي لا ساحل له في العلم ، المحيط الذي لا قرار له ، عاد وهو طاقة هائلة من التجارب ، وصوت مدوٍّ بالحقّ ، ومرشدٌ حكيم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فأجلّه أهل سبتة ، وأجلسوه للشورى ، ثم وُلِّيَ قضاء بلده مدةً طويلةً حُمدت سيرته فيها ، ثم نُقل إلى قضاء غرناطة في سنة إحدى وثلاثين وخمس مئة ، ولم يطل أمره بها ، ثم ولّي قضاء سبتة ثانياً[٥] .

لقد كانت أوقات القاضي عياض موزعة على ثلاثة أعمال رئيسة: القضاء والتأليف والإقراء لما يؤلفه. ودارت مؤلفاته على ثلاثة علوم: الفقه والتاريخ والحديث. والطابع العام لكتبه: هو طابع الرواية.

وفاته:

لما ظهر أمر الموحّدين أول إمرة المهدي بن تومرت ؛ كان القاضي عياض من أول السابقين إلى الدخول في طاعتهم ، فرحل من سبتة إلى لقاء أمير الموحّدين بسلا ، فأكرم وفادته وأجزل له العطاء والصلة ، وعندما اضطرب أمر الموحّدين ذهب القاضي عياض إلى عاصمة الجنوب (مراكش) ، وفي غزوة «نحودكالة» خرج مع الذين خرجوا لها ، فمرض فاستأذن في الرجوع فأذن له ، فرجع إلى مراكش ، ومكث بها نحواً من

ثمانية أيام في المرض ، فكانت بعدها وفاته ليلة الجمعة ، جُمادى الآخرة ، سنة (٥٤٤هـ) . وقيل كانت وفاته في شهر رمضان من السنة نفسها ، وهنالك من يقول : إنه توفي مسموماً سمّه يهودي بمراكش ، وقيل إنه خنقه ، ودفن بالحومة المسماة «بباب إيلان»[٦] ، وهو أحد رجالات مراكش السبع المشهورين الذين قيل فيهم :

بمراكش لاحت نجومٌ طوالع
جبالٌ رواسي بل سيوف قواطع
فمنهم أبو يعقوب ذو الغار يوسف
إليه تشير بالأكف الأصابع
ونجل أبي عمران عياض الذي
إلى علمه في الكون تصغي المسامع

ثناء العلماء عليه:

لقد أثنى عليه رحمه الله تعالى كل من ترجم له ؛ قال ابن كثير في ترجمته :

«أحد مشايخ العلماء المالكية ، وصاحب المصنفات الكثيرة المفيدة ، له شعر حسن ، وكان إماماً في علوم كثيرة كالفقه ، واللغة ، والحديث ، والأدب ، وأيام الناس»[٧] .

وقال النووي فيه : «هو إمام بارع متفنن ، متمكن في علم الحديث والأصول والفقه والعربية ، وله مصنفات في كل نوع من العلوم المهمة ، وكان من أصحاب الأفهام الثاقبة» .

قال الإمام أبو القاسم خلف عبدالملك بن مسعود بن موسى بن بشكوال الأنصاري المغربي في كتابه المعروف بـ «الصلة» : «قدم القاضي عياض الأندلس طالباً للعلم ، وعني بلقاء الشيوخ والأخذ عنهم ، وجمع من الحديث كثيراً ، له عناية كثيرة به ، واهتمام بجمعه وتقييده ، وهو من أهل اليقين في العلم ، والذكاء واليقظة ، والفهم»[٨] .

وقال ابن العماد الأصبهاني ملخصاً مناقبه : «وبالجملة فإنه كان عديم النظير ، حسنة من حسنات الآباء ، شديد التعصب للسنة ، والتمسك بها ، حتى أمر بإحراق كتب الغزالي لأمر توهمه منها[٩] ، وما أحسن قول من قال فيه :

ظلموا عياضاً وهو يحلم عنهم
والظلم بين العالمين قديم
جعلوا مكان الراء عيناً في اسمه
كي يكتمه وإنه معلوم
لولاه ما فاحت أباطح سبتةَ
والنّبت حول خبائها معدوم»[١٠]

ولا عجب؛ فعياض في المشرق وفي المغرب، وفي كل البلاد الإسلامية الأخرى؛ جدير بأن يكون له ولكتبه المكانة المرموقة، والصيت الذائع، مع الإكبار والإجلال، والتقدير والاحترام.

وأن يُخلّد ذكره، وينشر فضله بين العالمين في كل مكان.

مؤلفاته:

لقد كانت أوقات القاضي عياض موزعة على ثلاثة أعمال رئيسة : القضاء والتأليف والإقراء لما يؤلفه . ودارت مؤلفاته على ثلاثة علوم : الفقه والتاريخ والحديث . والطابع العام لكتبه : هو طابع الرواية .

والعلم كما يقول الزمخشري : مدينة أحد بابيها الرواية ، والثاني : الدراية ، وسعة رواية عياض هي التي أحلّته المحل الأول في الفقه المالكي وجعلت أبناء عصره يعوّلون عليه في حل ألفاظ مدوّنة سحنون ، وضبط مشكلاتها ، وتحرير رواتها ، وهي التي مكنت له من أسباب التفوق في تأليف كتب الحديث التي سنقتصر في مقالتنا هذه ؛ الحديث عن واحد منها ، ومن أجلّها قدراً ، وأنبهها ذكراً ، وأكثرها دلالة على عظم مكانته في فنون الرواية .

ألف القاضي عياض في شرح الحديث ثلاثة كتب هي : «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» ، و«إكمال المعلم» أكمل فيه كتاب أبي عبد الله محمد بن علي ابن عمر المازري الفقيه المحدّث ، أحد الأعلام ، والمشار إليهم في حفظ الحديث والكلام عليه «المعلم بفوائد كتاب

مسلم» ، وشرح حديث أم زرع وأسماه «بغية الرائد لما في حديث أم زرع من الفوائد» ، وألّف في علوم الحديث كتاباً واحداً هو كتاب «الإلماع»[11] .

وكتب القاضي عياض بالجملة مفيدة ، وأثنى عليها كثير من العلماء : قال الحافظ الذهبي : «تواليفه نفيسة ، وأجلّها وأشرفها كتاب «الشفا» ؛ لولا ما قد حشاه بالأحاديث المفتعلة ، عمل إماماً لا نقد له في فن الحديث ولا ذوق . والله يثيبه على حسن قصده ، وينفع بـ «شفائه» ، وقد فعل»[12] .

* الهوامش :

(١) «سير أعلام النبلاء» (٢٠/ ٢١٢ ـ ٢١٣) ، و«البداية والنهاية» (٢٢٥/١٢) .

(٢) «الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب» (ص ١٦٩) .

(٣) «سير أعلام النبلاء» (٢١٣/٢٠) .

(٤) «نفح الطيب» (٣٢٧/٤) .

(٥) «الديباج المذهب» (ص ١٦٩ ـ ١٧٠) .

(٦) «تاريخ قضاة الأندلس» (ص ٩٥) . و«الديباج المذهب» (ص ١٧٢) .

(٧) «البداية والنهاية» (٢٢٥/١٢) .

(٨) «تهذيب الأسماء واللغات» (٤٣/٢) . وانظر «تذكرة الحفاظ» (١٣٠٥/٤) .

(٩)قال اللكنوي : «وأخذ على الإمام الغزالي في «الإحياء» عدة مسائل ، وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النسخ فأمر بإحراقها» «الرفع والتكميل» (ص ٢٤٦) .

(١٠) «شذرات الذهب» (١٣٩/٤) .

(١١) انظر مؤلفاته في «معجم المؤلفين» (١٦/٨) و«تاريخ بروكلمان» .

(١٢) «سير أعلام النبلاء» (٢١٦/٢٠) .

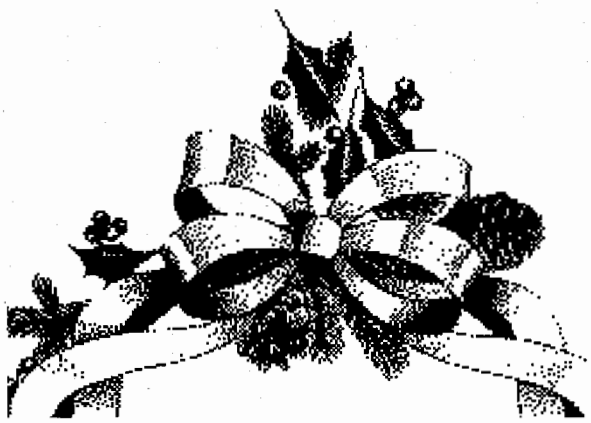

بقلم : الشيخ الأستاذ محمد إبراهيم شقره

الجائزة الفيصلية

هذه الكلمة ألقيت بمناسبة حصول شيخنا محدث العصر أبي عبد الرحمن الألباني حفظه الله على «الجائزة الفيصلية» تقديراً لجهوده في خدمة السنة النبوية المطهرة .

وقد حال مرضه دون حضور هذا المقام ؛ نسأل الله أن يعافيه ويشفيه ويبارك في جهوده نصرة لدينه ودفاعاً عن سنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد انتدب شيخنا عافاه الله الشيخ الأستاذ محمد إبراهيم شقره لينوب عنه في ذلك المقام . (الأصالة) .

الحمد لله الذي علّم بالقلم ، وأقامنا به على قصد الأمم ، وجعلنا باتباع نبيه محمد ﷺ خير الأمم ؛ أما بعد :

فإن بصائر ثلاثاً ظلّت تتقلب في أصلاب القرون مريرةً ، لا تختلف إحداها ، ولا تبطىء عن صنويها ، لم تحكم مرتها يد صناع ، لتكون ثلاثاً في واحدة ، وواحدةً بثلاث ، بل هي نعمة جليلة ، أفضل الله بها ، بأمره وحكمته غضةً ملداء سابغةً ، لتشخص أمام هذا الجمع الرافل بحلل السؤدد والعلم والأدب ، على أمر قد قدر لها في يومها المبارك هذا ، في مكانها الطيب هذا ، في شهرها المحرم هذا ، فتكون آية سنية مبصرة في أرض الجزيرة ، شفيفة القوام ، طاهرة الإهاب ، زاهية الرداء ، غير وجلة ، ولا حييّة ، ولا مستكبرة ، لكأنما نسجت في لحمتها وسداها ، من صفاءِ سماءِ الجزيرة ، ونقاء رملها وترابها ، ونبل سجاياها .

ولقد كانت زيادة حظوة برغبة من العلامة الشيخ «محمد ناصر الدين الألباني» ، أنالنيها على صحبة ربت على عقود ثلاث لمرض طالت صحبته ، منعه من الجمعة والجماعة خلفني بها على جائزته الفيصلية بنبالة البصيرتين الشريفتين ، فحباً وكرامة له ، وقرة عين لي ، لا تطرف إلا بخير وفيه .

ويتحدث الناس عن هذه البصائر ؛ بإنشاءها وخبرها ، وحقها والأحق بها ، والمجلي بها الآخذ بعنانها بلسان عربي مبين ، يستنبط البيان الرفيع من منابعه الأولى ، ويروي أصولها بلوابن الفصاحة التالدة الخالدة ، ويعيد للعقول المؤمنة بعروبتها

الصريحة ما ذهب به اليأس أن يكون لتراث لغة الضاد بعث جديدٌ ، ولا واللّه ما يجمل بالعربية ولا بالمؤمنين بتراثها أن يجد اليأس سبيلاً إليها ، لأن اللّه أراد لها البقاء ، ما دام قرآن وسنة جاهرين بصوتيهما ، آبين على يد التبديل والانتقاص أن تنال منهما ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ .

وقد ظلت الألباب الراشدة ، تتلقّى هذه البصائر برغب وشوق في آفاق المستقبل المكنون في معاطف الغيب ، لا تختلف في صورة ، ولا في حرف ، ولا في حال ، بصِغثها الجامع ثلاثتها فهو من ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ وأحاط علمه بالأزمان كلّها ، في عمق السرمد ، وبعد الأزل ، وامتداد الحاضر ، على أوفر ما تكون حسناً ، وإحكاماً وظهوراً .

فالبصيرة الأولى : بصيرة الملك ، التي زرع شجرتها في أرض الجزيرة ، وتعهدها حتى استطالت ساقها ، ولامست أديم السماء بفروع التوحيد الخالص ، وضربت في أعماق الأرض بجذور الشريعة الغراء ـ الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وجزاء الخير ، وقام على رعايتها من بعده أبناؤه الغيّر ، وسقوها بالذّنوب التي سقاها بها أبوهم الأغر الأبلج ، فكانت في أيديهم أمانة مصونة غالية ، بعيدة المنال إلا من أيديهم ، فآوتهم إلى أفيائها الظليلة ، ودنت منهم بثمارها الطيبة الشهية ، وكانت لهم وللمسلمين جميعاً نعمة فكهة رخية ، وسيظلون فيها ماداموا مستمسكين بسيرة السابقين الأولين من أسلافنا الصالحين المصلحين ، وكما خلفهم وتركهم عليها الملك المؤسس الباني ، يؤدون حقها بالشكر للّه عليها ، والقيام على دين الحق في عقيدته وشريعته بالوسطية العادلة ، من غير تفريط فيها ، ولا إفراط بالعمل بها ، ولا جحود أو تهاون في الشيء اليسير أو الكثير منها ، وقانون اللّه لا يتخلف ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ .

والبصيرة الثانية : بصيرة العلم : التي ثنياها ، كتاب اللّه تعالى ، وسنّة نبيّه محمد عليه الصلاة والسلام ، ومدخلها بشقي الوحي والمسجدان العظيمان ، ومأزرها الحرمان الآمنان ، ووليجتها القبلتان التوأمان ، اصطفى اللّه لهذه البصيرة في كل قرنٍ من يدفع عنها تأويل الجاهلين ويدرأ عن أصولها وفروعها تحريف المبطلين ، ويبين للناس زيف ما ألحقه به مكر الجفاة المفسدين ﴿وَمَكْرُ

﴿أُوْلَـئِكَ يَبُوْرُ﴾ ، فمن علم الله سبحانه أنه الأهل لها والأقدر على حملها ، كرمه ونعمه وجعلها إليه ، فكان الإمام المجدد الأول الذي جاء على فترة من المصلحين : محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وكان من ذريته من بعده ، مَنْ يذَكّرُ بشيء من معنى قوله تعالى : ﴿وَوَهَبْنا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وجَعَلْنا فِي ذُرِيَّتِهِ النُّبُوَّةَ والكِتَابَ﴾ ومن جاء من بعدهم من إخوانهم وتلاميذهم مَنْ يُذَكِّر بشيء من معنى قوله سبحانه : ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِيَّاتِهِمْ وإِخْوانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُم وهَدَيْنَاهُم إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ﴾ . وآل ميراثهم جميعاً إلى واحد من بقية السلف ، علماً ، وورعاً ، وزهداً ، يذكر بشيوخ الإسلام الأولين ، هو : الشيخ الوالد عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز ، أطال الله في عمره ، وجمله بعافيتي القلب والبدن .

وكانت كل واحدة من البصيرتين سرباللاً لأختها تقيها ، وردءاً لها يصدقها ، تسيران معاً جنباً إلى جنب في تعاونٍ أثير ، منقطع النظير ، فكان العالم بذلك في الجزيرة تذكرة بالماضين السابقين ، ومثلاً يحتذى في الآتين واللاحقين ، ورفد خير موصولاً للمجدين المخبتين ، وكان الأمير بهذا العالم وكل منهما في مكانه ، يداً حازمة راحمةً ، القوي عنده ضعيف حتى يؤخذ الحقّ منه ، والضعيف عنده قوي حتى يؤخذ الحق له ، ولا تجد قوام أمرها ، ولا قوة سلطانها إلا بصلاحها وصلاح العالم معها .

وأما البصيرة الثالثة : فبصيرة الجزاء ، التي توافي المحسن بإحسانه ﴿**وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان**﴾ . وهي في الدنيا ومنها حلة سيراء ، تزدهي بمن يرتديها ، وتغلو بالذي يعطاها ، إن كانت من غير طلعة ولا إشراف نفس ، ولا تحسر على فواتها ، ولا توهن من عضده ، أو تقعده عن الأمانة التي وسّده الله إيّاها ، وما أضيع قط من يحرص عليها ، وهو موقن بأن رزقه سابق بالذهاب أجله ، أما ما يكون من حسن جزاء العلم في الآخرة ؛ فيوفّاه أهله بغير حساب ، وأجمعت البصيرتان أمرهما أن يدعا للجائزة الفيصلية الرفيعة الشأن ، تحتار من تريد لتكون جزاءً وفاقاً له ، فأجالت بصرها في الآفاق ، فأشامت في أفق الشام شامةً جميلةً ، مكتوباً فيها : هنا ديوان الأثر ، وناشر السنة ، ومحدّث العصر ، «محمد ناصر الدين الألباني» ، يكاد سناها يملأ الآفاق كلها ، وما كادت الجائزة الفيصلية الرفيعة التي كانت بعض تكريم للملك الراحل فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله تبصر بهذا الاسم ؛

حتى عادت مسرعة لتقول للبصيرتين : لقد جئتكما من الشام بنبأ يقين ، إني وجدت من يسعدني أن أكون بعضاً من جزائه في الدنيا ، لأكون من الشهداء لكم أنّكم يا أبناء عبد العزيز ممن قيل فيهم قديماً : لا يعرف الفضل لذوي الفضل إلا ذوو الفضل ، فاهنأوا بما منّ الله عليكم ، وعرفتم الحق في لأهله فأدّيتموه ، ولقد كانت هذه منكم يداً بيضاء لهذا الشيخ الجليل ، ونصرة لدعوة الحق ، التي أحياها وجاهد فيها الإمام محمد عبد الوهاب ، فشأتم بها وقدة نفوس كزت ، واسبتم بها وغرة قلوب كظت ، فأبشروا وأملوا خيراً ، فوالله ما نصر مؤمنٌ مؤمناً في موطن يظلم فيه ، إلا ونصره الله في موطن لا يكون فيه الناصر إلا الله وحده ، فكونوا أنصار الله ، ووالله ما كان لكم في الأرض تمكين إلا لأنكم نصرتموه ، ولا أبقى الملك فيكم إلا لأنكم عززتموه ، ومن أصاب من مثل هذه النعمة شيئاً ، فقد أصاب خيراً كثيراً ، فاحفظوها بما حفظ الله ، وعضوا على الأمر العتيق الأول بالنواجذ ، واعلموا أنّكم في أعين الناس المثل المحتذى ، بتحكيم شريعة الإسلام بمقتضى التوحيد الحق ، فلا يؤتين فيه لا قدر الله من قبلكم ، فتؤتون أجركم مرتين ، وأسعد الناس في الدنيا والآخرة من كان شعاره ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى خَيْرٌ﴾ .

وبعد : فإني ـ وبالنيابة عن شيخنا عيبة السنّة ، الفقيه المثاني محمد ناصر الدين الألباني ، وعن كل محبّيه ، ولسنا نوفي خادم الحرمين الملك فهد بن عبد العزيز حقّه بالثناء على أمره أن تمنح الجائزة الفيصلية للجدير بها ـ فأدعو له قائلاً : جزاك اللّه خيراً ، وأطال في عمرك بالعدل ، والإصلاح ، وتحكيم شريعة القرآن ، وأنالك من فضله ما يقربك بطاعته إليه .

وإن للشيخ ناصر حقاً عظيماً علينا ، لا يقوم بمال ، ولا يوفاه إلا بأن يكون له حظٌّ من دعائنا في ظهر الغيب ، وتوقير في صدورنا حريٌّ بمثله في غيبةٍ وشهودٍ .

وهكذا أيها الجمع الرافل بحلل السؤدد والعلم والأدب ، نلتقي اليوم هذه البصائر الثلاث على أرض الجزيرة على أحسن ما يكون اللقاء ، وهو لقاءٌ متجدد عزيز ، يغري به فوح طيوب خزامى الرياض .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الشاعر عبد الله العثيمين

أبيات قيلت في مستهل تقديم
الشيخ محمد ناصر الدين الألباني
الفائز بجائزة الدراسات الإسلامية في حفل تسليم الجائزة مساء ١٤ / ١١ / ١٤١٩هـ

مدّي ـ عنود القوافي ـ للمسنّ يداً ... إن لم يرق لك وداً فارحميه ندىً

لا تحرميني يمنى ما حظيتُ بها ... إلاّ وكان لروحي لثمها مددا

أعيذُ لطفك أن ينأى بجانبه ... وقد جعلت له قلبي الولوع فدا

فإن صددت فهل في الشيب ملتجأٌ ... لمن على الصفح من أربابه اعتمدا؟

عذر المقدّم إن خانته مقدرةٌ ... أنّ المقدَّم ، فضلاً ، أدرك الأمدا

شيخٌ رنت لبلوغ المجد همّته ... مذ كان يروي صباه من صبا بردى

وأترعت سنّة الهادي مشاعره ... حباً فغذّ إليها سيره الرشدا

يغالب الدرب وثّاباً أخا ثقةٍ ... مستنجداً في سراه الواحد الأحدا

فما رأى من حديث في ذخائرها ... إلا وحقّق منه المتن والسّندا

حتى غدا علَماً من رام غُرَّتها ... ألفى لديه إليها مسلكاً وهُدى

العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني

تنبيه الأنام على مسألة القيام

قال رسول الله ﷺ :

«مَن أحَبَّ أن يَتَمَثَّل لـــه النَّاسُ قِيـاماً؛ فَلْيَتَبَوأ مَقْعَدَه مِن النّار».

أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٧) ، وأبو داود (٥٢٢٩) ، والترمذي (١٢٥/٢) ، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤٠/٢) واللفظ له ، وأحمد (٩٣/٤ و١٠٠) ، والدولابي في «الكنى» (٩٥/١) ، والمخلص في «الفوائد المنتقاة» (ق٢/١٩٦) وعبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (ق٢/٥١) والبغوي في «حديث علي بن الجعد» (٢/٦٩/٧) ، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢١٩/١) .

من طرق عن حبيب بن الشهيد عن أبي مجلز قال :

«دخل معاوية بيتاً فيه عبدالله بن الزبير وعبدالله بن عامر ؛ فقام ابن عامر وثبت ابن الزبير وكان أدربهما[1] ؛ فقال معاوية : اجلس يا ابن عامر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (فذكره) .

وقال الترمذي : «حديث حسن» .

قلت : بل هو حديث صحيح ؛ رجال إسناده ثقات رجال الشيخين ، وأبو مجلز اسمه لاحق بن حميد ، وهو ثقة ، وحبيب بن الشهيد ثقة ثبت ؛ كما في «التقريب» فلا وجه للاقتصار على تحسينه ، وإن سكت عليه الحافظ في «الفتح» (٤٢/١١) ، لا سيَّما وله طريق أخرى ؛ فقال المخلص في «الفوائد» :

حدثنا عبدالله : نا داود : نا مروان نا مغيرة بن مسلم السراج عن عبدالله بن بريدة قال :

«خرج معاوية فرآهم قياماً لخروجه ؛ فقال لهم : اجلسوا فإن رسول الله ﷺ قال «من سره أن يقوم له بنو آدم ، وجبت له النار» .

قلت : وهذا إسناد صحيح ؛ رجاله كلهم ثقات رجال مسلم غير شيخ المخلص عبدالله ، وهو الحافظ أبو القاسم البغوي ، ومغيرة بن مسلم السراج وهما ثقتان بلا خلاف ، وداود هو ابن رشيد ، ومروان هو ابن معاوية الفزاري الكوفي الحافظ .

وقد تابعه شبابة بن سوار : حدثني المغيرة بن مسلم به إلا أنه قال : «من أحب أن يستجم[٢] له الرجال . . .» والباقي مثله .

أخرجه الطحاوي (٢/٣٨/٣٩) والخطيب في تاريخ بغداد (١٣/١٩٣) .

وللحديث عنده (١١/٣٦١) شاهد مرسل في قصة طريقة .

أخرجه من طريق عبدالرزاق بن سليمان بن علي بن الجعد قال : سمعت أبي يقول :

«لما أحضر المأمون أصحاب الجوهر ، فناظرهم على متاع كان معهم ، ثم نهض المأمون لبعض حاجته ، ثم خرج ، فقام كل من كان في المجلس إلا ابن الجعد ؛ فإنه لم يقم ، قال : فنظر إليه المأمون كهيئة المغضب ، ثم استخلاه ، فقال له : يا شيخ ما منعك أن تقوم لي كما قام أصحابك؟ قال : أجللت أمير المؤمنين للحديث الذي نأثره عن النبي ﷺ ، قال : وما هو؟ قال علي بن الجعد : سمعت المبارك بن فضالة يقول : سمعت الحسن يقول قال النبي ﷺ (فذكره باللفظ الأول) قال : فأطرق المأمون متفكراً في الحديث ، ثم رفع رأسه فقال : لا يشترى إلا من هذا الشيخ ، قال : فاشترى منه في ذلك اليوم بقيمة ثلاثين ألف دينار) .

قلت : فصدق في علي بن الجعد ـ وهو ثقة ثبت ـ قول الله عز وجل : ﴿وَمَن يَتَّقِ

اللّهَ يَجْعَل لَه مَخْرَجاً ويرزُقْه من حيثُ لا يَحتَسِب﴾ .

ونحو هذه القصة ما أخرج الدينوري في «المنتقى من المجالسة» (ق١/٨ ـ نسخة حلب) : حدثنا أحمد بن علي البصري قال :

«وجه المتوكل إلى أحمد بن المُعَذَّل[٣] وغيره من العلماء فجمعهم في داره ثم خرج عليهم ، فقام الناس كلهم إلا أحمد ابن المعذَّل ، فقال المتوكل لعبيدالله : إن هذا الرجل لا يرى بيعتنا ، فقال له : بلى يا أمير المؤمنين ولكن في بصره سوء ، فقال أحمد بن المعذَّل : يا أمير المؤمنين ما في بصري من سوء ، ولكنني نزهتك من عذاب الله تعالى ، قال النبي ﷺ : «من أحب أن يَتَمَثَّل له الرجال قياماً ؛ فليتبوأ مقعده في النار» فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه» .

وروى ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/١٧٠/١٩) بسنده عن الأوزاعي حدثني بعض حرس عمر بن عبدالعزيز قال :

«خرج علينا عمر بن عبدالعزيز ونحن ننتظره يوم الجمعة ، فلما رأيناه قمنا ، فقال : إذا رأيتموني فلا تقوموا ، ولكن توسعوا» .

* * *

فقه الحديث:

دلنا هذا الحديث على أمرين :

الأول : تحريم حب الداخل على الناس القيام منهم له ، وهو صريح الدلالة بحيث أنه لا يحتاج إلى بيان .

الآخر : كراهة القيام من الجالسين للداخل ، ولو كان لا يحب القيام ، وذلك من باب التعاون على الخير ، وعدم فتح باب الشَّر ، وهذا معنى دقيق دلنا عليه راوي الحديث معاوية رضي الله عنه ، وذلك بإنكاره على عبدالله بن عامر قيامه له ، واحتج عليه بالحديث ، وذلك من فقهه في الدين ، وعلمه بقواعد الشريعة ، التي منها «سد الذرائع» ، ومعرفته بطبائع البشر ، وتأثرهم بأسباب الخير والشر ،

فإنك إذا تصورت مجتمعاً صالحاً كمجتمع السلف الأول لم يعتادوا القيام بعضهم لبعض ، فمن النادر أن تجد فيهم من يحب هذا القيام الذي يرديه في النار ، وذلك لعدم وجود ما يذكِّره به ، وهو القيام نفسه ، وعلى العكس من ذلك إذا نظرت إلى مجتمع كمجتمعنا اليوم ، قد اعتادوا القيام المذكور ؛ فإن هذه العادة لا سيما مع الاستمرار عليها فإنها تذكِّره به ، ثم إن النفس تتوق إليه وتشتهيه حتى تحبُّه ، فإذا أحبَّه هلك ، فكان من باب التعاون على البر والتقوى أن يترك هذا القيام ، حتى لمن نظنه أنه لا يحبه خشية أن يجرَّه قيامنا له إلى أن يحبه ، فنكون قد ساعدناه على إهلاك نفسه وذا لا يجوز .

ومن الأدلة الشاهدة على ذلك أنك ترى بعض أهل العلم الذين يظن فيهم حسن الخلق ، تتغيَّر نفوسهم إذا ما وقع نظرهم على فرد لم يقم له ، هذا إذا لم يغضبوا عليه ، ولم ينسبوه إلى قلة الأدب ، ويبشروه بالحرمان من بركة العلم بسبب عدم احترامه لأهله بزعمهم ، بل إن فيهم من يدعوهم إلى القيام ، ويخدعهم بمثل قوله أنتم لا تقومون لي لجسم من عظم ولحم ، وإنما تقومون للعلم الذي في صدري!! كأن النبي ﷺ عنده لم يكن لديه علم!! لأن الصحابة كانوا لا يقومون له ، أو أن الصحابة كانوا لا يعظمونه عليه السلام التعظيم اللائق به! فهل يقول بهذا أو ذاك مسلم؟!

ومن أجل هذا الحديث وغيره ذهب جماعة من أهل العلم إلى المنع من القيام للغير ، كما في «الفتح» (٤١/١١) ثم قال :

«ومحصول المنقول عن مالك : إنكار القيام ، ما دام الذي يقام لأجله لم يجلس ، ولو كان في شغل نفسه ، فإنه سئل عن المرأة التي تبالغ في إكرام زوجها ، فتتلقاه وتنزع ثيابه ، وتقف حتى يجلس؟ فقال : أما التلقي فلا بأس به ، وأما القيام حتى يجلس فلا ، فإن هذا

فعل الجبابرة ، وقد أنكره عمر بن عبدالعزيز» .

قلت : وليس في الباب ما يعارض دلالة هذا الحديث أصلاً ، والذين خالفوا فذهبوا إلى جواز هذا القيام بل استحبابه ، استدلوا بأحاديث بعضها صحيح ، وبعضها ضعيف ، والكل عند التأمل في طرقها ومتونها لا ينهض للاستدلال على ذلك[٤] :

ويؤيده ويوضحه : كراهته صلى الله عليه وسلم قيام النّاس له :

«ما كان في الدُّنيا شَخْصٌ أَحَبَّ إليهم من رسول الله ﷺ ، وكانوا إذا رأوْه لم يقوموا له، لما كانوا يعلمون من كَراهِيَته لذلك».

أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٤٦) ، والترمذي (١٢٥/٢) ، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٣٩/٢) ، وأحمد (١٣٢/٣) ، وأبو يعلى في «مسنده» (ق١٨٣/٢) واللفظ له .

من طرق عن حماد بن سلمة عن حميد عن أنس به .

وقال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه»

قلتُ : وإسناده صحيح على شرط مسلم .

وهذا الحديث مما يقوي ما دل عليه الحديث السابق : من المنع من القيام للإكرام ؛لأن القيام لو كان إكراماً شرعاً ، لم يجز له ﷺ أن يكرهه من أصحابه له ، وهو أحق الناس بالإكرام ، وهم أعرف الناس بحقه عليه الصلاة والسلام .

وأيضاً ؛ فقد كره الرسول ﷺ هذا القيام له من أصحابه ، فعلى المسلم - خاصة إذا كان من أهل العلم وذوي القدوة - أن يكره ذلك لنفسه اقتداء به ﷺ ، وأن يكره لغيره من المسلمين لقوله ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير» ؛ فلا

يقوم له أحد ، ولا هو يقوم لأحد ، بل كراهتهم لهذا القيام أولى بهم من النبي عليه الصلاة والسلام ، ذلك لأنهم إن لم يكرهوه اعتادوا القيام لبعضهم البعض ، وذلك يؤدي بهم إلى حبِّهم له ، وهو سبب يستحقون عليه النّار ؛ كما في الحديث السابق ، وليس كذلك رسول الله ﷺ ، فإنه معصوم من أن يحب مثل هذه المعصية ، فإذا كان مع ذلك قد كره القيام له ، كان واضحاً أن المسلم أولى بكراهته له[٥] .

ولقد جمع النبي ﷺ الأدب الجمَّ في قوله صلى الله عليه وسلم : «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقر كبيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه»[٦] فمعرفة حق العالم يستلزم التأدّب معه في حضرته وغيبته لكن هذا لا يستلزم العبودية له كما هو شأن بعض الصوفية والغلاة من المشايخ ، ومن ذلك : القيام للعالم إذا دخل المجلس ، فهذا لا ينبغي أن يكون في المجتمع الإسلامي المنقّى المصفى ؛ لأن جهد الدعاة الإسلاميين حقاً هو أن يقتربوا من المجتمع الإسلامي الأول الذي لا يمكن أن يُعاد كما كان ، وإنما الأمر كما قيل :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم

إن التشبه بالكرام فلاح

فنحن نحاول أن نتشبه بأولئك الأفراد الأخيار ، ونحاول أن نوجد مجتمعاً يكون شبيهاً بذلك المجتمع الأول الأزهر في ذلك العصر الأنور لذلك فلا بُدَّ أن يكون دائماً نصب أعيننا فعل ما فعلوا ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً ؛ لأن الحقيقة كما أشار إليها قوله عليه الصلاة السلام في الحديث الصحيح : «ما أمرتكم من شيء فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»[٧] ؛ فالأشياء العملية محصورة لا تقبل الزيادة فمن ذلك إكرام العلماء ببعض المظاهر منها القيام له ولغيره إذا دخل مجلساً من مجالس ، ما أقول مجالس العلم ، هذا واضح جداً أن طلاب حينذاك ما ينبغي أن يقوموا لهذا

العالم لكن إذا دخل مجلساً ليس مجلس علم هل من العلم النافع ومن العمل الصالح أن يقوم أهل المجلس لذاك العالم الداخل إلى المجلس؟

الجواب :

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ، ومن هو الشخص الوحيد الفريد الذي ينبغي أن يُحتذى به دون غيره هو كما نعلم جميعاً محمد رسول الله ، وأهل العلم يعلمون وليس هذا مما فيه يختلفون .

الآن العالم الإسلامي كله مخالف - إلا من رحمه الله - للهدي النبوي المتقدم في ذلك ، أهل العلم لا ينكرون على أصحابهم وعلى عامة الناس فيما إذا دخل أحدهم مجلساً وقاموا له والذين قاموا له إكراماً وتعظيماً زعموا ما هكذا كان المجتمع الأول . إذاً علينا نحن أن نتوجه دائماً إلى التشبه عملياً بالمجتمع الأول .

وهذه من الأمور التي يجب على أهل العلم بل على طلاب العلم أن يهتموا بها ، لإنك إذا كنت صادقاً في تشبهك بالرسول ﷺ فانشر بين أصحابك أنك تكره هذه الظاهرة ؛ أي : تواضع كما تواضع الرسول عليه السلام .

وكان الرسول يكره هذا القيام ؛ فتجاوب الناس معه ؛ لأنه كان حقيقة يكره هذا الشيء ، فإذا كان العالم مقتدياً بالرسول عليه السلام فلينشر بين أصحابه . هذا أولاً .

وثانياً : من باب سدِّ الذريعة ؛ أي العالم إذا اعتاد الناس أن يقومون له تشوقت نفسه لهذا القيام فقد يأتي زمن حينما يرى تلميذه البار المحب له المخلص له كان يقوم له ثم إذا به لا يقوم ؛ فستجري مناقشة ثم معاتبة ثم ربما أكثر من ذلك بين العالم وبين التلميذ ؛ لأن هذا العالم اعتادت نفسه حبَّ هذا القيام فأوقعه في هذا الحب المكروه المحرم اعتياد الناس له . وقد أردت : أن أذكر العلماء وطلاب العلم ألا يسايروا المجتمعات ؛ لأن هذه المسايرة ليس لها حدود اليوم فقد

تخرج بدعة فنقول : هناك ما هو أهم من ذلك ، وغداً بدعة أخرى ، ونقول : كما قلنا في الأولى حتى يصبح المجتمع بعيداً عن العمل بما جاء به الإسلام بمثل هذه التأويلات وهذه التسويغات الباطلة .

* الهوامش :

(١) وفي رواية البخاري «ارزنهما» ولعلها أصح .

(٢) أي يجتمعون له قياماً .

(٣) في «الصحيحة» (٦٩٦/١) : «أحمد بن العدل» في المواطن كلها ، والصواب : ما أثبتناه لوروده في «المجالسة» (٣٤٢) ، ولنص من ترجم له على ذلك ، كما في «سير أعلام النبلاء» (٥١٩/١١) ؛ وقال ابن فرحون في «الديباج المُذْهَب» (ص٣١) «وفيه كثير من يقول : أحمد بن المعدل ؛ بدال مهملة ، وصوابه بمعجمة» (الأصالة) .

(٤) «السلسلة الصحيحة» (٣٥٧) ، وانظر لزاماً «الصحيحة» (٦٧) .

(٥) «السلسلة الصحيحة» (٣٥٨) .

(٦) «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٥٤٤٣) .

(٧) متفق عليه .

من خطب السلف

كان آخر خطبة خطب بها عمر بن عبد العزيز رحمه الله أن حَمِدَ اللهَ وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإنكم لم تُخْلَقوا عَبَثاً، ولن تُتركوا سُدًى، وإنَّ لكم معاداً ينزل اللهُ فيه للحكم فيكم والفصل بينكم، فخاب وخَسِر من خَرَج من رحمة الله وحُرِمَ جنّةً عرْضُها السماواتُ والأرضُ.

ألم تعلموا أنه لا يأمَنُ غداً إلا مَنْ حَذِر اليومَ وخاف، وباع نافداً بباق، وقليلاً بكثير، وخوفاً بأمان؟ ألا ترون أنكم في أسْلاب الهالكين، وستكون من بعدكم للباقين كذلك، حتى تُرَدّ إلى خير الوارثين؟ ثم إنكم في كل يوم تُشيّعون غادياً ورائحاً إلى الله قد قَضَى نَحْبَه، حتى تُغيّبوه في صَدْعٍ من الأرض في بطن صَدْع غير مُوَسَّد ولا ممهَّد، قد فارَقَ الأحباب وباشرَ الترابَ، وواجه الحسابَ، فهو مُرْتَهَنٌ بعمله، غنيٌّ عما ترك، فقير إلى ما قدّم.

فاتّقوا الله قبل انقضاء مَواقيته ونزولِ الموت بكم.

أما إني أقول هذا وما أعلم أنَّ عند أحدٍ من الذنوب أكثرَ مما عندي، فأستغفرُ الله وأتوب إليه.

ثم رفع طَرَفَ رِدائه على وجهه: فبكى، وأبكى من حوله.

بقلم : الشيخ سعود بن ملوح العنزي

خطبة الجمعة والفقه الواقع

أدخل كثيرٌ من الخطباءِ إلى موضوع خُطبة الجمعة ما ليس منها ، وصرفوها عما شرعت لأجله ؛ فأحدثوا منهجاً جديداً لم تكن عليه خطب الرسول ﷺ ولا خطب الخلفاء الراشدين من بعده ، ولا مَنْ بعدهم من الأئمة .

هذا المنهج ابتدعه خطباء أُولعت نفوسهم بالسياسة ، فحوّلوا خُطَبَ الجمعةِ إلى خطب للتحليلات السياسية ، والتي أُخذت مادتها من الجرائد والمجلات والإذاعات!! ، حتى لا تكاد تسمع آية واحدة أو حديثاً واحداً في خطبهم ، مع أنّ السّلف رحمهم الله كانوا يعيبون على الخطبة التي ليس فيها آيات من كتاب الله وأحاديث من سنة رسول الله ﷺ ، ووسط هذا الزخم من التحليلات السياسية ـ التي تبث عبر خطبة الجمعة ـ ضاع المستمعون الذين حضروا ؛ ليتفقهوا في أمور دينهم ، وليجدوا من يرقق قلوبهم بعد أن شغلت بأمور معاشها سبعة أيام عدداً ، فيأتي المسلم على أمل أن يجد آيةً تَسْمُو بنفسه أو حديثاً يرقّ لسماعه قلبُه ، فلا يجد إلا تكراراً لما يسمعه في نشرات الأخبار!!

وقد نسي هؤلاء الخطباء ـ أو تناسوا ـ أنّ أكثر المستمعين إليهم لا يُحسنون أداء عباداتهم التي تتكرر منهم في اليوم والليلة على الوجه الصحيح ، بل إنّ من هؤلاء المستمعين من هو واقع في أمور شركية تنافي التوحيد خلط بها عبادته يظن أنه بذلك يحسن صنعاً ، فلا شك أن هذا وأمثاله في أشد الحاجة إلى من ينتشلهم من هذه الشركيات ، ويصحح لهم عباداتهم .

ولكن ـ مع كل أسف ـ نجد تجاهلاً وإعراضاً كبيراً من قبل خطباء السياسة وأدعياء (الفقه الواقع)[1] عن هذه المهمة العظيمة ، التي لأجلها بُعث الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه .

ولقد كانت هذه الخطب السياسية

سبباً في وقوع كثير من الفتن ، فبدلاً من أن تكون منابرهم مشاعل هداية أصبحت وقوداً لنيران الفتن التي راح ضحيتها كثير من الأنفس البريئة ، والتي لا زالت أمتنا تصطلي بلهيبها ، والواقع اليوم شاهد على صدق هذا!

ولأن هؤلاء الخطباء لهم علينا حق النصيحة ، فإنني أدعوهم إلى أن يتقوا الله في أمة محمد ﷺ ، وأن يهجروا هذا المنهج المبتدع الذي استحدثوه ، وأن يلتزموا في خطبهم هديَ الرسول ﷺ وخلفائه من بعده .

قال العز بن عبدالسلام[٢] رحمه الله :

«ولا ينبغي للخطيب أن يذكر في الخطبة إلا ما كان يوافق مقاصدَها ؛ من الثناء والدعاء ، والترغيب والترهيب ؛ بذكر الوعد والوعيد ، وكل ما يحثّ على طاعة ، أو يزجُر عن معصيةٍ ، وكذلك تلاوة القرآن .

وكان النبي ﷺ يخطب بسورة (ق) في كثير من الأوقات[٣] ؛ لاشتمالها على ذكر الله ، والثناء عليه ، ثم على علمه بما توسوس به النفوس ، وبما تكتبه الملائكة على الإنسان من طاعة وعصيان ، ثم تذكر الموت وسكراته ، ثم تذكر القيامة وأهوالها ، والشهادة على الخلائق بأعمالها ، ثم تذكر الجنة والنار ، ثم تذكر النشور والخروج من القبور ، ثم بالوصية في الصلوات ، فما خرج عن هذه المقاصد فهو مبتدع ، ولا ينبغي أن يذكر فيها الخلفاء ولا الملوك ولا الأمراء[٤] ؛ لأن هذا موطن مختص بالله ورسوله ، بما يحث على طاعته ، ويزجر عن معصيته ﴿**وأنَّ المساجدَ لله فلا تدعوا مع الله أحداً**﴾ (الجن : ١٨) ، ولو حدث بالمسلمين حادث فلا بأس بالتحدث فيما يتعلق بذلك الحادث ، مما حث الشرع عليه ، وندب إليه ، كعدو يحضر ، ويحث الخطيب على جهاده ، والتأهب للقائه .

وكذلك ما يحدث من الجدب ، الذي يستسقى لمثله ، فيدعو الخطيب بكشفه» .

قال ابن العطار[٥] رحمه الله :

«وينبغي أن تكون الموعظة في كل وقت وزمان ، على حسب حاجةِ الناس إليها مِمّا يجهلونه من الأحكام الشرعية ، والتنزيهات الربانية ، وما يحمل على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ ، وعلى قِصَر الأمل في الأمور الدنيوية دون الأُخروية ، وما يحمل على الإيمان بالبعث

والنشور ، والجنة والنار ، وعلى العمل والإخلاص فيه ، وعلى التناصف ، والتواصل ، والتراحم ، وترك التقاطع والتدابر والتظالم ، وعلى التعاون على البر والتقوى ، ونصر المظلوم ، ونصر الظالم بمنعه من الظلم ، وحث[٦] ولاة الأمر على العدل والإنصاف ، والإحسان ، وترك الجور والإثم والعدوان ، وحث الناس على القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي هي سبب لرفع البلاء ، والنصر على الأعداء ، وعدم تعميم العذاب ، واستجابة الدعاء من رب الأرباب ، وإنزال البركات ، وغفْر الذنوب والتّبِعات .

ويذكر فضلَ الأزمنة والشهور والأعوام[٧] ، ويحث على الصلاة والصيام ، والحج وإقامة الشعائر والمناسك والقيام .

وهكذا كان رسول الله ﷺ والخلفاءُ الراشدون ، والأئمة والعلماءُ العارفون ، واعتمادهم في خطبهم ووعظهم وتذكيرهم ، ومقصودُهم بإنذارهم وتبشيرهم .

فهذا هو السنة ، وما عداه فهو البدعة» .

وقال ابن قيم الجوزية[٨] رحمه الله :

«وكان مَدَارُ خُطَبِهِ ﷺ على حمد الله ، والثناء عليه بآلائه ، وأوصاف كَمَالِهِ ومحامِدِهِ ، وتعليم قواعد الإسلام ، وذكر الجنة والنار والمعاد ، والأمر بتقوى الله ، وتبيين موارد غضبه ، ومواقع رضاه ، فعلى هذا كان مَدَارُ خطبه» .

وقال[٩] أيضاً :

«وكان يُعَلِّمُ أصحابَه في خطبته قواعدَ الإسلام ، وشرائعَه ، ويأمرهم ، وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهي» .

وقال البيهقي[١٠] رحمه الله :

«أُحِبُّ أنْ يُخلص الإمامُ الخطبةَ بحمد الله ، والصلاة على رسوله ﷺ ، والعظة والقراءة ، لا يزيد على ذلك»[١١] .

وقال[١٢] أيضاً :

«أخبرنا عبدالمجيد عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : ما الذي الناس يدعون به في الخطبة يومئذٍ ، أَبَلَغَكَ عن النبي ﷺ أو من بعد النبي ﷺ ؟

فقال : لا ، إنما أُحدث ، إنما كانت الخطبة تذكيراً»[١٣] .

وقال الشيخ صديق حسن خان[١٤] رحمه الله :

« . . . ثم اعلم أنّ الخطبة المشروعة هي ما كان يعتاده ﷺ من ترغيب الناس

وترهيبهم ، فهذا في الحقيقة روح الخطبة التي لأجلها شرعت» .

وقد عَدّ الشُّقَيْري رحمه الله في كتابه «السنن والمبتدعات» (ص : ٩٠) من بدع خطبة الجمعة : جعلها عارية عن الوعظ والإرشاد والتذكير ، والترغيب والترهيب ، والأمر والنهي .

وقال ابن قدامة[١٥] رحمه الله وهو يعدد فروضَ الخطبة :

«الثالث : الموعظة ؛ لأن النبي ﷺ كان يعظ ، وهي القصد من الخطبة ، فلا يجوز الإخلال بها» .

فالحاصل[١٦] : أنّ روح الخطبة : هو الموعظة الحسنة ، من قرآن وغيره ، كما سبق من كلام بعضِ العلماء .

والظاهر من محافظته ﷺ في خطبة الجمعة على الأمر بتقوى الله ، والتحذير من غضبه ، والترغيب في موجبات رضاه ، وقراءة القرآن ، وجوب ذلك ؛ لأنّ فعله ﷺ بيان لما أجمل في آية الجمعة ، وقد قال ﷺ : «صلوا كما رأيتموني أصلي»[١٧] .

وقال بعضهم : مواظبته ﷺ دليل الوجوب ، قال في «البدر التمام» : «وهو الأظهر . والله أعلم» .

ووصف جابر بن سمرة خطبة النبي ﷺ ، وما كان موضوعها ومحتواها ، وأوجز ، قال رضي الله عنه :

«كانت للنبي ﷺ خطبتان ، يجلس بينهما ، ويقرأ القرآن ، ويذكّر الناس»[١٨] .

وألخص هنا ما ينبغي أن يكون عليه الخطيب في خطبته[١٩] ، فأقول : إنّ عليه أموراً ، منها :

١ ـ إرشاد العامّة إلى معرفة الله تعالى ، وما يجب أن يثبت له من الصفات العلية ، وما يجوز في حقه تعالى وما لا يجوز ، وما للرسل والأنبياء من مثل هذا عليهم الصلاة والسلام .

٢ ـ تعليمهم أركان الدين من صلاة وصوم وحج وزكاة ، وبيان فائدة آدابها لهم ، ومنافعها العائدة عليهم في الدنيا والآخرة .

٣ ـ دعوتهم إلى الخير ، وصرفهم عن ناحية الشرِّ ، وأمرهم بالمعروف ، ونهيهم عن المنكر ، وحثّهم على التمسك بالدّين وآدابه وفضائله ، وما أمر الله تعالى به ورسولُه ﷺ .

٤ ـ تحريضهم على العمل والاجتهاد في ذلك ، وتقرير أن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴿فَمَن يعمل مثقالَ

ذرة خيراً يَرَه . ومن يعمل مثقالَ ذَرّة شرّاً يَرَه﴾ (الزلزلة : ٧ ، ٨) .

٥ ـ حضهم على التعاون في المشروعات ، وتربية البنين والبنات ، وعلى الدخول إلى كل أمر من بابه ، وطلب كل رغبة من أسبابها ، وحفظ الأمانة ، واستشعار الأخوة ، التي هي مصدر حياة الأمم ومشرف سعادتها في هذه الدنيا قبل الآخرة ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ (آل عمران : ١٤٥) .

٦ ـ تطهير قلوبهم من الأوهام الفاسدة التي قد تجر إلى الاعتقادات الباطلة ـ وما أكثرها عند المسلمين اليوم ـ حتى يخضعوا الخالق السماوات والأرضين ، وقاهر الناس أجمعين ، وحتى يقولوا كما قال إبراهيم عليه السلام : ﴿إنّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلّذي فَطَرَ السَّمـوَاتِ والأَرْضَ حَنيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكينَ﴾ (الأنعام : ٧٩) ، وكما أمر رسول الله ﷺ أن يقول : ﴿إنّ صَلاَتي وَنُسُكي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتي لِلّه ربِّ العَالَمينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوّلُ المسلمين﴾ (الأنعام : ١٦٢) .

فيا خطباء السياسة! أيّ حالة هذه التي تدعوكم إلى سلوك هذا المنهج وبين أيديكم سيرة الرسول ﷺ وخلفائه ، والتي لم يكن فيها شيء مِمّا جئتم به في خطبكم السياسية!! ، وها هي كتب السنة والتاريخ بين أيدينا ناطقة بمنهج سلفنا ، فكل ما أحدث على خلافه فأقل أوصافه أنه بدعة في الدين ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

فتعالوا بنا ـ جميعاً ـ ننتظم في سلك قوله تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِنْكُم أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ . وَلاَ تَكُونُوا كَالّذِينَ تَفَرّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ البَيّنَاتِ . أولئكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ، فَأَمَّا الذينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُم أَكَفَرْتُم بَعْدَ إيمَانِكُمْ فَذُوقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُم تَكْفُرونَ . وأَمَّا الذينَ ابيضَّتْ وُجُوهُهُم فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (آل عمران : ١٠٤ ـ ١٠٧) .

* هوامش

(١) ولا أقول فقه الواقع ، فتأمل .

(٢) «فتاوى العز بن عبدالسلام» (ص : ٧٧ ـ ٧٨) .

(٣) في «صحيح مسلم» (٨٧٣) وغيره عن أم هشام بنت حارثة قالت : «ما أخذت ﴿ق والقرآن المجيد﴾ إلا على لسان رسول الله ﷺ

يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر، إذا خطب الناس» .

(٤) نقل القرطبي في «تفسيره» (١٠٧/١٨) عن الزمخشري قوله : «فإن قلتَ : كيف يفسّر ذكر الله بالخطبة ، وفيها غير ذلك!!

قلت : ما كان من ذكر رسول الله ﷺ ، والثناء عليه ، وعلى خلفائه الراشدين ، وأتقياء المؤمنين ، والموعظة والتذكير ، فهو في حكم ذكر الله . فأمّا ما عدا ذلك من ذكر الظلمة ، وألقابهم ، والثناء عليهم ، والدعاء لهم ، وهم أحقّاء بعكس ذلك ، فهو من ذكر الشيطان ، وهو من ذكر الله على مراحل» أ . هـ .

قلت : الصواب أنه لا مانع من الدعاء للولاة الظلمة بالهداية ونحو هذا بشرط أن لا يتخذ سنة وكأنه جزء من خطبة الجمعة ، والكلام السابق للزمخشري منبعث من (اعتزاليته) وعقيدتهم في الولاة .

(٥) «أدب الخطيب» (ص : ١٢٥ ـ ١٢٦) .

(٦) بالقيود المعتبرة شرعاً!

(٧) الثابت فضلُها في القرآن وصحيح السنة!

(٨) «زاد المعاد» (١٨٨/١) .

(٩) «زاد المعاد» (٤٢٧/١) .

(١٠) «معرفة السُّنن والآثار» (٣٧٣/٤) .

(١١) انظر : «الأم» (٢٠٢/١ ـ ٢٠٣) .

(١٢) (٣٧٣/٤) .

(١٣) انظر : «الأم» (٢٠٣/١) ـ باب ما يكره من الكلام في الخطبة وغيرها ـ .

(١٤) «الروضة الندية» (٣٤٥/١) .

(١٥) «الكافي» (٣٢٨/١) .

(١٦) انظر : «القول المبين في أخطاء المصلين» (ص : ٣٨٧) .

(١٧) أخرجه البخاري .

(١٨) أخرجه مسلم رقم (٨٦٢) .

(١٩) انظر : «تحفة الواعظ في الخطب والمواعظ» لأحمد فريد (ص : ١١ ـ ١٢) .

* * *

التحرير

شخصية المسلم

عندما بنى الإسلامُ شخصيّةَ المسلم كان بناؤه لها بناءً متميّزاً ؛ ضبط فيه جوانبها جميعاً ؛ علمياً ، وعقائدياً ، ومنهجيّاً ، وأخلاقيّاً ؛ فجاءت الشخصيّةُ المسلمةُ متكاملةَ التصوُّر ، قويَّة البُنية ، رابطةَ الجأشِ ، ثابتةَ الأركانِ .

وعليه ؛ فإنّ المسلم الحقّ هو الذي تنضبط أفعاله ببناءِ الشخصيّةِ ـ هذا ـ ، وترتبطُ أقواله بِبُنيتِه الإيمانيّة الراسخة ـ تلك ـ .

فلا خَوَر ، ولا جُبْنَ ، ولا تردُّد ، ولا تراجع ، بل اطمئنانٌ ، واستقرار ، وثباتٌ بإصرار .

وبِقَدْر الخَلَل الذي يتسلّل إلى هذه الشخصيّة ـ بِبُنيتها وبنائها ـ بِقَدْرِ ما يكون التفلُّت ، والتنكُّب ، والاهتزاز ؛ فلا قول يثبتُ ، ولا وَعْدَ يمضي ، ولا عهد يؤكّد!

فلْنتأمّل (أُناساً) هكذا سلوكُهم ، و(فئة) هذا سبيلُها : هل تستطيع ـ بهذا وذاك ـ أن تقفَ على أقدامها؟! وأن تقوم بواجباتها؟!

هل تستطيعُ أن يكونَ لها من أنفسِها القِوَامُ الحقُّ الذي به تعلو فوق نقصها ، وتسمو فوق تقصيرها؟!

هل تستطيع أن تكونَ موثِّرةً فاعلةً؟! فإن كانت ؛ فهل سيكون أثرها إيجابيَّ الحقيقة ، جليَّ الطريقة؟!

أم أن الأمورَ ـ في حالها ومآلها ـ ستكون تابعةً للنزعات النفسيّة ، والتصوُّرات الشخصيّة ـ سلباً وإيجاباً ، وسروراً وانزعاجاً ، وبسطاً وانقباضاً؟!ـ .

وأخيراً :

ما أجملَ الهديَ النبويَّ الذي هو

الأُسوةُ التّامةُ ، والقدوةُ الكاملةُ ؛ حيث جعل النبيُّ ﷺ : «العَدْلَ في الغَضَبِ والرِّضا» [1] من علامات النجاة وأساليبها ، وأسباب السعادة ، وأكرِم به وصفاً رفيعاً يُكَلِّلُ الشخصيّةَ المسلمةَ ببهاءِ الظاهر ونقاءِ الباطن . والله الموفق

* الهوامش :

(١) «السلسلة الصحيحة» (١٨٠٢) .